الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمّد البشير الإبراهيمي . برج بوعريريج

كلّية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب حديث ومعاصر

عنوان المذكرة:

تجليات الأنا والآخر

في رواية "كوابيس بيروت" لـ: غادة السمان

مذكرة مقدّمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة ماستر

إعداد الطالبتين:

- فاطمة الزهراء عمورة
- شيماء زغدان

إشراف الدكتورة:

-سعاد الوالي

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	رتبه	مؤسسته	صفته
د. صليحة قصابي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج	رئيسا
د. سعاد الوالي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج	مشرفا ومقررا
د. ناصر معماش	أستاذ محاضر "ب"	جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج	ممتحنا

الموسم الجامعي: 2022-2023

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: "وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"

((سورة الإسراء: الآية 85))

شكر وعرفان

الحمد لله أولا وآخرا وما توفيقنا إلا بالله، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة وأتم التسليم وبعد؛

إن شكر العباد هو من تمام شكر ربّ العباد ولأنّ لكل نجاح شكر وامتنان،

نتقدم بجزيل الشكر للأستاذة الدكتورة **"سعاد الوالي"** على تكرمها بالإشراف على هذا البحث

بداية من اختيار العنوان إلى الخاتمة،

كما نتقدم بالشكر المكلل بالحب والتقدير والاحترام

لصديقتنا : **"دنيا مروشي"** ضلعنا الثالث رفيقة دربنا،

نقف عاجزين في أن نصوغ كلمات تصف الذين يتميزون بالعطاء اللامحدود من "أجداد وجدات" ومن "خالات وعمات " لما قدموه لنا، حتى الكلمات لا تستطيع التعبير عنها.

لكل من نسيه القلم لكنه في القلب دائما محفوظ جزيل الشكر والامتنان.

إهداء

إلى من قال فيهما عز وجلّ: " **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**".

سورة الإسراء- الآية: 24.

إلى من تشققت يداه في سبيل رعايتنا- أبي الصبور الحنون.

إلى من سهرت وتعبت في تربيتنا ولم تبخل يوما بدعائها لنا- أمي الحنون.

إلى إخوتي حفظهم الله ورعاهم وأنار دربهم: **سعيد، عبد الحق، يوسف.**

إلى كل من دعا ليّ دعوة خير في ظهر غيبٍ، بعيدٍ كان أو قريب ...

أهدي عملي .

شيماء

إ هـ د ا ء

إلى من قال فيهما عز وجلّ: " **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**".

سورة الإسراء- الآية: 24.

إلى والديّ: أبي "**عبد السلام**" حبيب قلبي وسندي.

وأمي "**حبيبة**" رفيقتي وصديقتي ونور عيوني.

لولاكما لما وصلت هنا "أحبكما".

إلى إخوتي سندي وقرّة عيني أدامكم الله لي وحفظكم وأدام عطائكم علي.

إلى أختيّ: "**هريو**" وزوجها و"**نوال**" من سهلا الطريق أمامي وأزالا الهموم عن صدري.

إلى كل من دعا ليّ دعوة خير في ظهر غيبٍ، بعيدٍ كان أم قريب...

أهدي عملي.

فاطمة

مقدمة

بسم الله، والصلاة والسلام على الرسول المصطفى خاتم الأنبياء، وآله وصحبه الأخيار أجمعين، ومن تبعهم إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين، وبعد.

أولى العرب اهتمامهم بالكثير من المواضيع قديماً وحديثاً وخاصة بعدما تأثروا هم وشعوبهم بالنهضة الأوروبية التي كانت بمثابة صفعةً على وجوههم أيقظتهم وأخرجتهم من سباتٍ ماض وأوعتهم لكي يلتحقوا بالشعوب النامية الأخرى على مستوى جميع الأصعدة، فإذا وقفنا على آداب الغربيين لرأينا كُتَابنا قد انهالوا على كتاباتهم يحاكون فيها ويأخذون منها وينقدونها، ولكن هذا لا يعني أن لا أدب لنا، بل إنّ تاريخ العرب زاخر بالإنجازات العظيمة إلا أنه كغيره من الأشياء أصابها ركود، فحتى الحياة العربية مسها هذا الركود الشامل، هنا تحركت قريحة أدباءنا للكتابة وللتعرض لجميع المواضيع باختلافها للنهوض بما كان قد نسي وأهمل وترك، وخير مثال على ذلك؛ وضع الرواية العربية بصمتها الفريدة على الموضوع المثير للاهتمام منذ القدم موضوع "**الأنا والآخر**".

فمنذ أن نشأ الخلق والخلائق والإنسان في صراع خارجي مع محيطه وعالمه وداخلي مع نفسه، وهذه من الخِلْقة والفطرة البشرية، هذا الصراع الذي يدور داخل الكون ولّد طرفين متقابلين، طرفين كل العالم والوجود قائم عليهما، فأثارا جدلا واسعا وأخذا حيزا كبيرا في عالم الرواية؛ العربية خصوصا، ظاهر هذه الثنائية تنافر واختلاف ولكن في حقيقة أمرها وباطنها ورغم المشاحنات هناك تكامل بيّنٌ وتناسق (ذكر، أنثى، شرق غرب، شمال جنوب).

وتعددت الأسباب التي جعلتنا نقوم باختيار هذا الموضوع المتشابك، فكانت كالآتي:

1- يرجع اهتمامنا في البداية به إلى مجرد فضول ثم تحول بعد ذلك إلى شغف كبير بعد أن غصنا في غياهب رواية كوابيس بيروت وبعد مشاورة علمية مع الأستاذة المشرفة ارتأينا أن يكون موضوع البحث موسوم بعنوان: "**تجليات الأنا والآخر في رواية "كوابيس بيروت"** لـ : "**غادة السمان**"؛ سنحاول من خلال هذه الدراسة رصد تجليات الأنا والآخر فيها، لتتشعب بعد هذا العديد من الأسباب الموضوعية والذاتية:

- محاولة مبدئية منا لإثارة النقاش حول الثنائيين (**الأنا والآخر**)، وبقصد معرفة الجانب المظلم للحرب الأهلية اللبنانية سنة 1975.
- الميول الشخصي والرغبة في الاطلاع على دور الدول العربية في حروب أوطانها ومعرفة كل ما يتعلق بأسباب النزاع المختلفة والمتعددة بين الأنا العربي والآخر الغربي وقيام هذه الحرب.
- رواية كوابيس بيروت تعد حقل خصبا يمكن إجلاء منه مثل هذه الدراسات، دراسة (**الأنا والآخر**) وتستحق النظر في كل جانب من جوانبها.

وبما أن نصوص غادة السمان غالبا ما تعد نصوصا جديرة بالتحليل والدراسة، نرى العديد من الدراسيين قد أخذوا على عاتقهم فك شفرات راويتها ومن بين أهم هذه الدراسات التي صادفناها:

- سميحة تركي: **تعدد الأنوات في رواية كوابيس بيروت.**
- دراسة لـ: السيد مصطفى محمد عبيد، **"لغة الخطاب النسوي عند غادة السمان "كوابيس بيروت نموذجا".**

حاولنا أن نضيف عن الدارسين السابقين ولو بالقليل، فقد قمنا بدارسة ثنائية **"الأنا والآخر"** محاولين إجلاء ورصد صورهما بدون فصلهما عن بعضهما البعض، وأشرنا في بعض النقاط إلى حالات أخرى قد كانت تعيشها الأنا بسبب الآخر وإعطاء صورة واضحة إن صحّ تعبيرنا عن الآخر العربي في ظل الحروب التي تندلع في وطنه.

وعليه نطرح الإشكال الجوهري الذي بُنيّ عليه بحثنا هذا:

- **كيـــف تجلــت العلاقـــة بين الأنا والآخر في رواية "كوابيس بيروت" لـ "غــادة السمان"؟**

ليتفرع بعد هذا الإشكال العديد من الأسئلة الفرعية أهمها:

- **كيف كانت الإرهاصات الأولى للثنائية في الرواية العربية؟**
- **ما هي أهم التعريفات التي وضعت حول الأنا والآخر؟**
- **هل اقتصرت العلاقة بين هذه الثنائية على عربيّ وغربيّ فقط؟**
- **ما هي أهم الملامح التي برزت فيها هذه الثنائية داخل رواية كوابيس بيروت؟**
- **وكيف أثبتت وجودها داخل المتن الروائي؟**

وللإجابة عن الإشكاليات السابقة قمنا بوضع خطة كان مفادها: مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، فحاولنا مراعاة خطوات الطريقة المنهجية المعتمد عليها فيما يخص هذه الدراسة وجاءت كالآتي:

عُنّون المدخل بـ: إشكالية **"الأنا والآخر"** في الرواية العربية، تناولنا فيه مفهوم الرواية وجذور **"الأنا والآخر"** غربيا وعربيا وذكرنا أهم الكتابات العربية الأولى التي تناولت الأنا والأخر. والفصل الأول النظري كان بعنوان: ثنائية **"الأنا والآخر"**؛ مفاهيم تأسيسية تعرضنا فيه إلى ثلاثة مباحث رأينا أنها ضرورية وخادمة للموضوع، فكان المبحث الأول ضابطا لمفهوم **"الأنا"** من الناحية اللغوية والاصطلاحية والتي أدرجنا فيها تعريف الأنا من ناحية عدة علوم متباينة، والمبحث الثاني كان أيضا ضابطا لمفهوم **"الآخر"** على الصعيد اللغوي والاصطلاحي، والمبحث الثالث؛ العلاقة بين **"الأنا والآخر"**. أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا بعنوان: **"الأنا والآخر"** في رواية **"كوابيس بيروت"** لـ: **"غادة السمان"** والذي

قسمّناه إلى مبحثين، المبحث الأول بعنوان "**تجليات الأنا في رواية كوابيس بيروت**"، اندرج تحته خمسة عناصر؛ الأنا بين الكابوس والواقع، لأنا بين غربة الوطن والهجرة، تناقض الأنا بين (اللاعنف) و(العنف)، هوية الأنا بين (اللاانتماء) و(الانتماء)، الأنا بين الأسر والحرية. والمبحث الثاني بعنوان "**تجليات الآخر في رواية كوابيس بيروت**"، ضمنّا تحته عنصرين؛ الآخر العدو، الآخر الصديق. وأخيرا وليس آخرا خاتمة كانت عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات لما شاهدناه في العمل المنجز.

واستندنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي وآلية الوصف والتحليل؛ فاعتمدنا المنهج التاريخي في المدخل لأنه كان لابد لنا أن نعرجَ على تاريخ الأنا والآخر مع تحديد الفروقات بين الرواية العربية والغربية وكذا ذكرنا لأهم الكتابات الأولى التي ضمت الثنائية في متنها أو قومت العمل على أساسها، أما آلية الوصف فقد كانت السبيل لنا في التعريف بعدة مفاهيم، وآلية التحليل استغللناها في الجزء التطبيقي من أجل توضيح ما جاء في المتن وتحليل الحوارات الخارجية والداخلية بين شخصياتها على مستوى الأحداث ولِكُلِّ بحث عمود فَقَري يستند عليه آلا وهو قائمة المصادر والمراجع التي تساعد في الإحاطة بالإشكالية وتُمكّننا من الإجابة عليها ومن أهمها:

المصادر:

- غادة السمان- كوابيس بيروت.

المراجع:

- ماجدة حمود - إشكالية الأنا والآخر.
- طاهر لبيب — صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه.
- سيجموند فرويد — الأنا والهوَ.
- سالم المعوش — صورة الغرب في الرواية العربية.

أما من ناحية الصعوبات والعراقيل التي لا يخلو أي بحث منها، كانت قد واجهتنا العديد منها بسبب عمق الموضوع، إلا أننا حاولنا قدر المستطاع مواجهتها والتفلت من قيودها.

وبفضل الله ومنّه علينا وبفضل مساعدة الأستاذة الفاضلة "**الوالي سعاد**" والتي اهتمت بموضوع مذكرتنا منذ أن كان فكرة إلى أن أصبح بحثًا تمكنا من إنجازه، كما نتقدم بالشكر الخالص لأعضاء لجنة المناقشة ولما سيقدمونه لنا من توجيهات وملاحظات ربما كانت العين غافلة عنها ولكلّ شيء إذا ما تمّ نقصانٌ والله وليّ التوفيق.

مدخل

إشكالية الأنا والآخر في الرواية العربية

ارتأينا في هذا المدخل تحديد مفهوم عدة مصطلحات بشكل يتوافق مع هذه الدراسة، حيث أن الكثيرين اليوم صاروا يتحدثون عن السرديات بمختلف أنواعها في العالم العربي والغربي في دراساتهم وأبحاثهم ومقالاتهم، فاختلفت التصورات وتباينت المنطلقات، ومن بين هذه السرديات الرواية التي تعد ممارسة إبداعية لغوية متميزة تتشكل بتداخل المستويات السردية والمرجعيات الثقافية والاجتماعية والحضارية، تتحدد أهميتها من حيث إنتاج إبداعي لساني بالدرجة الأولى من خلال طبيعة وقيمة لغتها الأدبية الفنية، فهي وسيلة يلجأ إليها للتعبير عن روح المجتمعات وأساطيرها وعاداتها وتقاليدها وثقافاتها، هاتكة ستر المستور وكاشفة خفاياه، منيرة مضيئة كل الزوايا المظلمة والعاتمة في حياة هذه المجتمعات، مقدمة صورة لنا تارة عن واقع متناقض بين مظهره وحقيقته وتارة تجسد لنا عالما خياليا بحتا، فالرواية من أبرز الأجناس الأدبية التي يصب فيها الأديب جل أفكاره ومختلف مشاعره لتغذية تفكير القارئ ولجعله يغوص في عوالم حقيقية وخيالية لاستكشاف غير المعتاد وغير المرئي، فلكل راوي بصمته الخاصة التي تمكنه من الانفراد بنص روائي خاص عن غيره من الرواة. ويلزم بنا الإشارة إلى أن جملة من الباحثين أشادوا بصعوبة بلورة مفهوم جامع وشامل للرواية كونها غامضة ومتعددة الدلالات متجاوزة بذلك إلى الإبلاغ والقصديّة.

هناك من تبنى مفهوم الرواية من الناحية الاصطلاحية بقوله أنها: «**أكبر الفنون الأدبية عمقا واتساعا، لأن معمارها الفني يشمل أساليب التعبير الشعرية والقصصية والدرامية، ويضيف إليها تصوير المجتمع، والتعبير عن ضمير الإنسان وأشواقه ومصيره، واستيعاب التاريخ والتنبؤ باتجاهات المستقبل**»[1]، وفي مفهوم آخر لها تعرف بأنها: «**سرد قصصي نثري طويل يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد**»[2]. فالرواية شرح وتصوير لأحداث ومعارف وتجارب إنسانية، وهي الناقلة لكل شعور نفسي وجسدي، فهي بمثابة المرآة العاكسة للمجتمعات تحمل في طياتها جل الوقائع والمظاهر الإنسانية ومختلف المواضيع الحساسة، متخذة اللغة الكتابية وسيلة لها رغم تعدد اللغات إلا أنه وإن جاز تعبيرنا تبقى هي الوسيلة الأصح للإفصاح عن رغباتنا ومتطلباتنا فلا يمكن الاستغناء عنها فهي المقوم الأساسي في كل عمل أدبي، ومن أكثر الأعمال الأدبية احتضانا للواقع ومعانقة لمجرياته. الرواية؛ خير وسيلة تعبر بها الأمم عن ذواتها بكل حرية وهذا فيما يخص مفهومها.

أما الآن فدراستنا تبحث بوصفها قراءة تأويلية في تجليات الأنا والآخر في الرواية العربية، راصدة أثرهما في المضمون الروائي المنبثق عنها، والشيء الضروري الذي علينا فعله هو الرجوع للتاريخ الذي يرى فيه بعض العلماء على أنه

[1] أحمد محمد عطية: **الرواية السياسية دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية**، مكتبة مدلولي، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص 07.

[2] محمد التونجي: **المعجم المفصل في الأدب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ-1999م، ص 491.

مميز كسائر المزايا الإنسانية الأخرى المتفاوت بين الأمم والمتباين بين الجماعات، "**فجمال الدين الأفغاني**"[*] يقول: «**لا عزة لقوم لا تاريخ لهم**» لكلٍ تاريخه الذي يتفرد به عن غيره، والمتأمل في تاريخ الرواية العربية تحديدا يقضي إلى الكشف عن حدود التجاذب بين أقلام الأدباء في حقيقة مضمونها وما تحتويه. فالرواية العربية تختلف إلى حد كبير عن الرواية الأوروبية في الشروط التاريخية لتكونها وفي المعايير الأخرى التي ترافقها وهذا من البديهيات لتضارب المعايير الاجتماعية والمبادئ الأساسية والمعتقدات الدينية دون أن يكون بين الطرفين انفصال لأن ذلك التفاوت بينهما يدفع إلى المحاكاة والإتباع من كلا الطرفين.

وإذا جئنا لأول ظهور للرواية لا مناص من القول أنها سلكت طرق عديدة إلى أن أصبحت ما هي عليه الآن. ولقد كثرت الآراء حول نشأتها وبالتحديد حول الآونة الزمنية التي خرجت فيها إلى الوجود بشكلها الذي نعرفه اليوم إذ طرأت عليها تعديلات كثيرة منذ عصر النهضة حتى عصرنا الراهن، لأن الشكل الروائي لا يتكون في حقل خاص به بل يتحرك في حقل إيديولوجي[**] عام، فتمنح دورا في الصراعات الإيديولوجية مع وظيفة تتغير بتغير أشكال هذا الصراع[1]، كون الرواية نسيج من الأفكار والمفاهيم والتمثلات الخاصة بالفرد والجماعة لحياتهم ونشاطاتهم وممارساتهم اليومية وهذا ما تركها تتميز بمجال عام ومفتوح لأنها مرتبطة بالواقع يصيبها ما يصيب الحياة من تحولات وتغيرات موازياً بذلك مفهوم الإيديولوجيا.

المتَتَبع للتأثير المتبادل بين الشرق والغرب يجد أنه بعد الاحتكاك مع الغرب في القرن الثامن عشر وتحديدا مع أحداث 11 سبتمبر 2001 التي وقعت في نيويورك وواشطن بالولايات المتحدة الأمريكية ظهر الاستشراق الجديد وحتمية مواجهة الإسلام تحت مسمى صراع الحضارات، ومع هذا رّق الفكر والإبداع العربي فمن الطبيعي أن يزداد طرح إشكالية "**الأنا**" و"**الآخر**" في الرواية العربية، وزاد حرص الذات العربية على تأكيد هويتها، والدفاع عنها في مواجهة تهمة الإرهاب[2]؛ ومن هذا المنطلق بدى جليا للعربي إلزامية الدفاع عن ذاته التي ألحق بها الغربي العار والشبهات الإرهابية فانطلقت منه ادعاءات على أن العربي يمثل الإرهاب بصورة نمطية وهذا التشويه كان حافزا لتقصي وإظهار الصورة العربية

[*] **جمال الدين الأفغاني (1838–1897)**: مصلح إسلامي مشهور، من المسلمين المفكرين الذين جاهدوا في مواجهة الصعاب لتجديد الفكر الإسلامي، واجه العديد من المستشرقين أمثال: (أرنست رنيان)، وناقشهم حول العلاقة بين الإسلام والعلم. ينظر: جيونيئيتشي هيرانو: **تجديد الفكر الإسلامي في العالم الإسلامي الحديث**، مجلة الدراسات العالم الإسلامي، ع4، مارس 2011م، ص 22.

[**] **الايديولوجيا**: مفهوم اجتماعي تاريخي في ذاته أثار تطورات وصراعات ومناظرات واجتماعية وسياسية عديدة، هي كلمة دخيلة على جميع اللغات الحية تعني لغويا في أصلها الفرنسي علم الأفكار، أما في اللغة العربية فتعني منظومة فكرية أو عقيدة. ينظر: عبد الله: **مفهوم الإيديولوجيا**، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2012م، ص ص 5-9.

[1] ينظر: سالم المعوش: **صورة الغرب في الرواية العربية**، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص 29.

[2] ينظر: ماجدة حمود: **إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)**، عالم المعرفة، الكويت، 1434هـ-2003م، ص 07.

الحقيقية "**الأنا**" في مواجهة "**الآخر**" والتصدي له، فالروائي العربي اتخذ من الشكل السردي مادة خصبة له ووسيلة للتعبير عن الذات وتحريرها ممزوجة فنيا بما هو واقعي وما هو خيالي فجمع الروائي العربي بين الطرفين وجها لوجه سواء كان قاصدًا ذلك أو دون وعي منه لتُعرف الحقيقة من خلافها.

وذلك لا ينفي وجود الأنا والآخر في تراثنا القديم، «فكانت جميع العلاقات والنظم والمناحي الحياتية والفعالية الإنسانية في المجتمع الجاهلي تقوم على العصبية القبلية ولأجل فكرة التعصب وتمحور الأفراد حول مفهوم الجماعة كان تكوين البنية الاجتماعية للمجتمع الجاهلي مسؤولا عن انبثاق إشكالية (الأنا والآخر) فيه بشكل واضح وقوي»[1]، وهذا الذوبان في روح الجماعة خلق في تلك الحقبة تعصب فردي بعد أن كان تعصب قبلي جمعي بسبب قيام الفرد الدائم لخدمة القبيلة وتمحور حياته عليها، وهنا كان الفرد الجاهلي في معضلة كبيرة ألا وهي طمس هويته بالنسبة له، فحاول البحث عن ذاته الحقيقية بخروجه عن القبيلة والتصعلك على مبادئها كون الانصياع والانقياد لها في معتقده يورثه الذّل والإهانة. وبهذا يتوسع مفهوم الآخر في الرواية العربية بعد أن كان مقتصرا على الغربي فقط إلى آخر تعاشره قريب وآخر تعاشره بعيد خاصة الإفريقي والأسيوي[2]. مع تعدد واختلاف العلاقة التي تجمعهم، فهنا لم يبقى الآخر محصور على الغرب فقط بل أصبح العربي كذلك آخر في حد ذاته بالنظر إليه من عدة زوايا مختلفة.

تمكنت الأنا والآخر من نيل اهتمام كبير وسط الساحة الأدبية العربية خاصة الروائية التي قامت بتسليط الضوء على إشكالية الهوية في مواجهة الآخر، فكانت مادة خصبة ومحورية بالنسبة للروائيين في نسج أعمالهم، بسبب الانفتاح على الحضارات الأخرى، والتأثر بها والحوار معها الذي بث الحيوية في مكوناتها، فحاول العربي أن يجعل من رغبته في فهم الآخر ومعرفة امتداداته في جل الزوايا شكلا وقالبا، فتوالت النماذج الروائية التي خُطَّتْ على أساس فهم الآخر، على غرار بعض النماذج التي اهتمت بدراسة جانب الأنا الهوية العربية والإسلامية، محاولة الدفاع عنها وإحيائها في حين أن هناك أعمال أولت اهتمامها ونظرا لكلا الطرفين، وهذا لا يعني انفصال الثنائيتين في القالب الواحد.

[1] عبد الله بن محمود طاهر تريسي: **ثنائية (الأنا) و(الآخر) الصعاليك والمجتمع الجاهلي**، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ع: 120-221، 1421هـ-2011م، ص 174.

[2] ينظر: ماجدة حمود: **إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)**، ص 08.

ومن الروائيين العرب* الذين جسدوا "**الأنا**" و"**الآخر**" في ثنايا أعمالهم نذكر: "**إسماعيل فهد إسماعيل**" في روايته" **بعيدا إلى هنا**" التي جسدت لنا الأنا والآخر الأسيوي، "**واسيني الأعرج**" صاحب رواية "**كتاب الأمير**" والتي تطرق فيها إلى إشكالية الأنا والآخر المستعمر، "**بثينة خضر مكي**" في روايتها الموسومة "**حجول من الشوك**" ضمت في ثناياها الأنا الإفريقي والآخر، وأخيرا وليست آخر في ذكرنا الروائية "**غادة السمان**" التي كتبت راوية "**سهرة تنكرية للموتى**" عرجت فيها على الأنا في مرآة الفرنسي إثر الحرب الأهلية اللبنانية[1]، هذه الأخيرة هي التي اتخذنا من أحد أعمالها محلا لدراستنا وبحثنا. دون أن يغيب عن ذهننا ذكر أن مطلع الساحة العربية كان مفعمًا بتصوير العلاقة التي تجمع بين الشرق والغرب بغض النظر عن إشكالية تلك العلاقة، ومن تلك الكتابات: "**شرق وغرب**" لـ "**جورج الطرابيشي**"، "**المغامرة المعقدة**" لـ "**محمد كامل الخطيب**"، "**وعي الذات والعالم**" لـ "**نبيل سليمان**"، و"**الرحلة إلى الغرب في الرواية العربية الحديثة**" **لـ** "**محمد الشوابكة**" وغيرها الكثير من الدراسات[2]، ولعل ما هَمَّ العربي بعد اصطدامه مع الغرب ومعايشته لهم وقيامه برحلات نحو أوروبا في القرن التاسع عشر تحديدا هو؛ أن يكتشف ذاته أكثر من هدفه الأساسي اكتشاف الآخر بعد أن ذهب حاملا الرؤى والمواقف والقيم والحنين التي وجهت اكتشافه بهدف الاعتبار والاستنهاض بدءا بـ "**الطهطاوي**"* في "**تخليص الإبريز في تلخيص باريز** "إلى "**محمد بلخوجة التونسي**" في "**سلوك**

---

*__تنويه__: لمحة عن الروائيين الذين تم ذكرهم في المتن:

- **إسماعيل فهد إسماعيل (1940–2018م)**: ناقد أدبي، كاتب روائي، ولد في البصرة بالعراق، يعد المؤسس الحقيقي لفن الرواية في الكويت، كونه يمثل إحدى العلامات الروائية العربية المحسوبة في سماء فن الرواية، من بين أعماله: "السماء زرقاء"، "مستنقعات ضوئية"، "الشمس في برج الحوت". ينظر: أباضة الشرقاوي: أعلام الأدبي المعاصر سير وسير ذاتيه، هيئة التحرير: ليزلي ترامونتيني وآخرون، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، لبنان، ط2، 2013، ص ص 107-108.
- **واسيني الأعرج** (1954م): أديب جزائري ولد بقرية بوجنان بولاية تلمسان، عرف بإبداعاته القصصية والروائية والشعرية، يعد من أبرز رواد الرواية في الوطن العربي، من أهم إبداعاته: "نوار اللوز"، "حارسة الظلال"، "جغرافيا الأجسام المحروقة"، "الاغتراب". ينظر: العلمي مسعود: الفضاء المتخيل والتاريخ في رواية كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد لوسيني الأعرج نموذجا دراسة بنيوية سيميائية، أطروحة مقدمة لنيل متطلبات شهادة الماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2009-2010م، ص 43.
- **بثينة خضر مكي**: روائية وكاتبة سودانية مؤسسة (رابطة الأدباء السودانيات)، في جمهورية السودان مع شغولها عدم مناصب أخرى، من أعمالها: "أغنية النّار"، "صهيل النهر". **ينظر**: ويكيبيديا: **موسوعة حرة**، تم الاطلاع على الموقع: https://ar.m.wikipedia.org، بتاريخ: 28 فيفري 2023، على الساعة: 11:11.

[1]ينظر: ماجدة حمود: **إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)**، ص ص 5-6.

[2]عامر جميل الصرايرة: **جدلية بين الشرق والغرب في نماذج مختارة من الرواية العربية المعاصرة (2001–2011)**، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، 2013م، ص 09.

*__رفاعة الطهطاوي (1801م–1873م)__: ولد رفاعة في طهطا، أحد أركان النهضة العلمية العربية، بل إمامها في مصر، يمتاز بالجد والمثابرة، وقد بدت فيه في رغبة التأليف مبكرة منذ كان في الأزهر، فقد نظم أرجوزة في علم الكلام، وبدأ الترجمة وكذلك في سن مبكر، من بين أهم مؤلفاته: كتاب تليماك، بحث "**المذاهب الأربعة**"، "**جمال الأجرومية**". ينظر: أحمد أحمد بدوي: **رفاعة الطهطاوي بك**، لجنة البيان العربي، القاهرة، مصر، د.ط، 1369هـ-1950م، ص ص 12-73-93-94.

الإبريز في مسالك باريس".[1]

سجلت الأنا والآخر حضورها في الرواية العربية بقوة قديما وحديثا لكنها تحققت فعليا مع تواصلها وتأثرها بالحضارات الغربية الأخرى التي أضفت عليها طابعا جديدا، فرسمت الرواية العربية خزانا من الصور والمعارف والتحديات للثنائيتين ورسمت لهما صفات وملامح، أصدرت في حقهما أحكاما ووجهت الانتباه إلى أغلب الجوانب من حياة الآخر الغربي الأوروبي والأنا العربية مع إشاحتها النظر لجوانب أخرى أو قللت من أهميتها إن صحَّ التعبير لكنها لازالت تُواتر في طريق البحث والغوص في غياهب الغربي والعربي رغم الدهاليز التي تعرضت لها ولازلت.

[1] ينظر: الطاهر لبيب: **صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص 188.

الفصل الأول

ثنائية الأنا والآخر

المبحث الأول: مفهوم الأنا

حازت "**الأنا**" و"**الآخر**" كما سبق الذكر على أهمية كبيرة ومكانة عالية وحيزا واسعا داخل فضاء الرواية وهما يعتبران أحد الإشكاليات الفلسفية والاجتماعية والأدبية التي أولاها الأدباء والمفكرين والفلاسفة الغرب والعرب على حد سواء اهتمامهم وعنايتهم محاولين تارة اكتشاف خفاياهما وأركانهما المظلمة وتارة أخرى جعلها موضوعا لإبداعاتهم الفنية والأدبية.

مرت لفظة "**الأنا**" بالكثير من المنعطفات والدراسات والنظريات من أجل أن ترسوا على مفهوم واضح جليّ، يُزال به غموض القديم والحديث..، أدّى بنا هذا للغوص في ثنايا الكتب والمعاجم محاولين تحديد بعض المفاهيم والاصطلاحيات الأكثر تداولا عنها.

أولا: لغة

رجعنا في دراستنا إلى العديد من القواميس المختلفة (العربية والغربية)، ولكن قبل ذكر ما جاء فيها، عرجنا على أهم مصدر بالنسبة لنا وهو القرآن الكريم الذي نزل على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، وهو حق على جميع المسلمين لما فيه من بركات ومن معجزات وإعجازات علمية ولغوية وحتى عددية، يعتبر من المصادر الصالحة لكل زمان ومكان وبما أنه دليلنا ومنهجنا يلزمنا تقفيّ كل ما جاء فيه. فنجده احتضن لفظة الأنا بصيغة المفرد (الأنا، إني، إنني)، وبصيغة الجمع (إنّا، أنّا، نحن)، مع ورودها فيه 69 مرة، وجاءت للإشارة على النفس الإلهية في العديد من المواضع القرآنية في الآيات الكريمة فاختلفت بحسب موضعها وسياقها وحتى باختلاف الأحداث لتبين طبيعة العلاقة بين الإله وعباده وبين الإله والكون أجمع[1]، كما جاء في قوله تعالى: «**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيم**» [2]، فالأنا هنا تدل على الذات الإلهية مع تجلي ووضوح علاقة الله سبحانه مع عباده ورحمته عليهم فالذين رجعوا عما كانوا فيه وأصلحوا أعمالهم وأحوالهم وحتى الدعاة إلى الكفر أو البدعة إذا تابوا إلى الله تاب الله عليهم.[3]

أما في القواميس الأخرى التي تعرضنا لها فوجدنا ورود معنى لفظة الأنا في معجم لسان العرب «**اسم مكْنيٌّ، وهو للمتكلم وحده، وإنما يبنى على الفتح فرقا بينه وبين أن التي هي حرف ناصب للفعل، والألف الأخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقف، فإن وسطت سقطت إلا في لغة رديئة كما قال:**

---

[1] ينظر: سعيد عمر: **الأنا والآخر من المنظور القرآني**، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1429هـ-2008م، ص ص 133-137.

[2] سورة البقرة: الآية 160.

[3] ينظر: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي الدمشقي: **تفسير القرآن الكريم**، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ-2000م، ص 225.

أنَا سيفُ العَشِيرة فاعْرِفُوني جَمِيعًا قَدْ تَذَرَّيْتُ السَّنامَا».[1]

أما في معجم مختار الصحاح فقد وردت بنفس المعنى الذي جاء به لسان العرب بأنها «**اسم مكني، وهو للمتكلم وحده وإنما يبنى على الفتح فرقا بينه وبين أن التي هي حرف ناصب للفعل والألف الأخيرة هي لبيان الحركة في الوقف فإن توسطت الكلام سقطت إلاّ في لغة رديئة كقوله:**

- **أنَا سيفُ العَشِيرة فاعْرِفُونِي».**[2]

في اللغة الفرنسية يطلق على هذه اللفظة بـ « **Je، Moi، وفي اللغة الإنجليزية self، I، في اللغة اللاتينية Ego، وتستعمل غالبا بهذه الصورة من جانب الفلاسفة الإنجليز أو الألمان»**[3]، « (أنا) **ضمير المتكلم، والألف الأخيرة فيه إنما هي لبيان الحركة في الوقف، فإن مضيّت عليها سَقطت كقولك: أنْ فعلت، ويراد بها عند فلاسفة العرب الإشارة إلى النفس المدركة، قال "ابن سينا"*: «المراد بالنفس ما يشير إليه كل أحد بقوله أنا»**[4]. ووصفت بأنها «**ضمير منفصل (للمتكلم أو للمتكلمة)**» .[5]

وهذا ما هو متعارف عليه فجلّ المصادر المذكورة إضافة إلى المنجد في اللغة والمعجم الوسيط، أحالونا بالمعنى المباشر إلى أن الأنا ضمير يشار به للدلالة على المذكر والمؤنث، يُخصُّ المتكلم بها وحده، تصف وتمثل كل شخص بحد ذاته مُعبرة عن شخصيته الفاهمة الواعية لتصرفاتها ومشاعرها وأفكارها وهذا ما برزت عليه "**الأنا**" من الناحية اللغوية باعتبارها جوهر النفس الإنسانية التي تسيره وتوجهه ليصبح جزءا داخل المجتمع مؤثرا بآناه فيه ومُتأثرا به.

ثانيا: اصطلاحا

قدم الدرس الاصطلاحي نفسه كذلك لاحتضان عدد لا يحصى من التعاريف والمفاهيم التي تخص "**الأنا**" وهذا إنّ دلّ على شيء فإنه يدل على عِتقها وتأصلها. واستعمل هذا اللفظ في الكثير من المجالات الأدبية وغير الأدبية (فلسفية، نفسية، اجتماعية ...) وانصب مفهومه فيها بتعريفات خاصة متفردة عن غيرها حسب موضعه.

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، تح: عبد الله علي الكبير و آخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، 1119م، ص 160.

[2] محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: **مختار الصحاح**، دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، لبنان، د.ط، 1986م، ص 12.

[3] ينظر: أندريه لالاند: **موسوعة لالاند الفلسفية**، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 2001م، ص 824.

* **ابن سينا (980م-1037م)**: هو أبوعلي الحسين بن عبد الله بن علي المكي بن سينا، أشهر فلاسفة الشرق وأطبائه، من أشهر مؤلفاته: كتاب "القانون في الطب"، كتاب "الشفاء". ينظر: ليلى لميحة فياض: **موسوعة أعلام الموسيقى العرب والأجانب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ-1992م، ص 07.

[4] جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ط، 1982م، ص 139.

[5] معجم اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، مكتبة الشرق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ-2004م، ص 28.

هذا التشعب لـ **"الأنا"** صَعب على الباحث عموما الوقوف على أرضية ثابتة له، لدلالاته المختلفة التي تحدد وفق سياقه الوارد فيه. إن سُئِّل أحد ما لا يملك في خلفيته المعرفية معلومات حول هذا الأخير فسيكتفي بقول أنها كلمة يستعملها لتقديم نفسه للآخرين. أما عند الباحث المطلع على تاريخها، يرى أن **"الأنا"** عبارة تستخدم للدلالة على الذات المستقلة في مواجهة الآخرين الخاصة المتميزة عنهم والمختلفة، فعندما نستخدم لفظة **"الأنا"** فهل نقصد بها الذات الحاضرة الآن وهنا، أم يقصد بها ذلك الطفل والمراهق الذي كان، أم الكَهل الذي هو الآن والعجوز الذي يكون ..، ولا ريب أن الإجابة البسيطة تقول إن **"الأنا"** هو جميع هؤلاء الذين يُشكلون سلسلة متصلة الحلقات تكون في مجموعها هذه الذات الحاضرة. وبقولنا هذا نحن نعبر عن هوية معينة وذاتية محددة ولا تقوم لـ **"الأنا"** قائمة دون ركيزتين أساسيتين هما الشكل والجوهر: الشكل يَشملُ الخصائص الموضوعية التي يعرف بها الفرد عند الآخرين وتتضمن الاسم، اللقب، السحنة، وصفات سلوكية معينة، والجوهر هو الجانب المتغير من الذات (البعد الغير مرئي، الذي لا يدركه سوى الفرد نفسه).[1]

ويقال **"الأنا"** هو: «**الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعها وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية، وهو دائما واحد ومطابق لنفسه وليس من اليسير فصله عن أعراضه. ويقابل الآخر والعالم الخارجي، ويحاول فرض نفسه على الآخرين. وهو أساس الحساب والمسؤولية**» [2]؛ الذات مركز الشعور وهي المكون الأساسي في حركة الفكر بشكل عام التي تتصل بالواقع، وقول "هو دائما واحد ومماثل لنفسه" دلالة على أن الأنا كامل وصائب. ونظيره الآخر الذي يفرض علينا أهوائه وسيطرته.

أ- من المنظور الفلسفي:

يَلّزم بنا الذكر أن **"ديكارت"*** أبو الفلسفة الحديثة ركز هو الآخر كغيره من الفلاسفة على هذا المصطلح المرتبط آنيا بالشعور، مركزا على الشعور ومُنكرا اللاشعور انطلاقا من أن التناقض مرفوع فلا يمكن أن يمتلك الإنسان عقلا لا يعقل، ونفس لا تشعر وأكد ذلك انطلاقا من منهجه الشكي الذي استخلص من خلاله مسلمة أساسية هي ما يسمى بـ: «**الكوجيتو الديكارتي، أنا أفكر إذن أنا موجود**»[3]؛ أهم ما يتسم به **"الأنا"** الإدراك التام الذي يحيله إلى إعمال

---

[1] ينظر: تركي الحمد: **الثقافة العربية في عصر العولمة**، دار الساقي، مصر، ط1، 1999م، ص ص 193-196.

[2] مراد وهبة: **المعجم الفلسفي**، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، د.ط، 2007م، ص 95.

*__رنيه ديركارت (1596م-1650م)__: الملقب بأبو الفلسفة الحديثة ولد بفرنسا ودرس التاريخ والأدب والشعر واللغات القديمة، كما درس الفلسفة بأقسامها، من أهم أعماله: "كتاب العالم"، "خطاب في المنهج"، "تأملات ميتافيزيقيا في الفلسفة". ينظر: مهدي فضل الله: **فلسفة ديكارت ومنهجه (دراسات تحليلية ونقدية)**، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ص ص 76-77.

[3] توم سوريل: **ديركات مقدمة قصيرة جدا**، تر: أحمد محمد الرودي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2014م، ص 11.

العقل للوصول إلى غايات مرادة وحل مشاكل مستعصية واستنتاج واتخاذ القرارات، ليثبت ويُقرّ أن انعدام التفكير يساوي انعدام الوجود، فالنفس في نظره لا تنقطع عن التفكير والشعور.

في جهة مقابلة نجد "**سيجموند فرويد**"* قسم الجهاز النفسي إلى ثلاث أجزاء (الشعور، وما قبل الشعور، واللاشعور) وهو أول من استعمل هذه الألفاظ بمعنيين أحدهما **وصفي**** والآخر **طبوغرافي***** [1]، ثم عدلها بأقسام جديدة "**الهو**"، "**الأنا الأعلى**" و"**الأنا**"، الأنا عنده كيان ينشأ عن جهاز الإدراك الحسي الشعوري، والهو: ما يطلق على الجزء الآخر من العقل الذي يمتد إليه الكيان والذي يتصرف كأنه لا شعوري وهو ذلك القسم من الجهاز النفسي الذي يحوي كل ما هو موروث وما هو موجود من الولادة، أما "**الأنا الأعلى**" أو "**الأنا المثالي**" فهي ذلك الأثر يبقى في النفس جراء الاحتكاك بالعالم الخارجي، فيحول ما عاشه الفرد مع الأشخاص خارجيا وما بدر عنهم سلوكات إلى سلطة داخلية، ويعني ذلك أن يتقمص الشخصية كالوالديّن مثلا.[2]

ويقول "**كالفن هال**"**** بهذا الخصوص أيضا أن "**الأنا**" هو: «**الجهاز التنفيذي للشخصية وهو الذي يتحكم في "الهو" و"الأنا الأعلى"، ويدير شؤونهما، وهو الذي يحفظ الاتصال بالعالم الخارجي من أجل مصالح الشخصية كلها ومطالبها البعيدة. وحتى ينّجز "الأنا" وظائفه التنفيذية بحكمه، يسود الانسجام ويعم الاتزان. وحين يستسلم "الأنا" "للهو" أو "الأنا الأعلى"، أو للعالم الخارجي أو يتنازل عن كثير من سلطة لأيّ منهما، ينجم عن ذلك الاضطراب والشذوذ**»[3]؛ الأنا هو المصدر الأولي البسيط والمباشر الذي تنبثق منه جل أفعالنا وتصرفاتنا والضابط لكل ما هو شعوري وغير إرادي صادر عن الإنسان، وهو الدافع والمحفز للاستمرار بالتواصل مع الآخر سواء من أجل التأثير وفرض نفسه وشخصيته وتكيفه مع العالم الخارجي واكتشافه أو من أجل تحقيق مصالحه الشخصية والوصول إلى حقائق ومعارف معينة، ولكن في المقابل إذا اختل توازن "**الأنا**" يفقد وظيفته الأساسية التي هي «**مراعاة**

---

* **سيجموند فرويد (1856م–1939م)**: هو طبيب نمساوي طبيب من أصل يهودي اختص بدراسة طب الجهاز العصبي ومفكر حر يعتبر مؤسس علم التحليل النفسي، اشتهر بنظريات العقل واللاوعي، من أبرز أعماله: تفسير الأحلام، الشذوذ الجنسي، الذاكرة. ويكيبيديا: الموسوعة الحرة، تم الاطلاع على الموقع: https://ar.m.wikipedia.org، بتاريخ 23-06-2023، على الساعة: 18:30.

** **الوصفي**: يدل على كيفية العملية النفسية من حيث شعورنا بها أو عدم شعورنا بها.

***الطبوغرافي: يتضمن وجود أقسام مختلفة في الجهاز النفسي تكون مركزا للعمليات النفسية المتخلفة.

[1] ينظر: سيجموند فرويد: **الأنا والهو**، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1402هـ-1982م، ص ص 15-16.

* [2] عمرو عبد العلي علام: **الأنا والآخر الشخصية العربية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر**، دار العلوم للنشر والتوزيع و المعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص ص 9-10.

**** **كالفن اس هال (1909–1985م)**: عالم نفسي مريكي وكذلك أستاذ جامعي. ينظر: ويكيبيديا: **موسوعة حرة**، تم الاطلاع على: https://ar.m.wikipedia.org، بتاريخ 20 فيفري 2023، على الساعة: 11:00.

[3] عمرو عبد العلي علام: **الأنا والآخر الشخصية العربية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر**، دار العلوم للنشر والتوزيع و المعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص ص 9-10.

السلطات الثلاث»[1] التي حددها فرويد، فيصبح عمل **"الأنا"** التوفيق بين السلطات أو سيحدث اضطراب ووهن في الشخصية، فتصير غير سوية مع ذاتها ومع الغير، وبالتالي يكون هناك تأثير سلبي على الفرد نفسه والآخرون.

ب- من منظور علم النفس:

إنَّ القدماء من علماء النفس أهملوا دراسة الحيوان وركزوا في بحثهم على دراسة الإنسان، بطريقة موضوعية خارجية وهي طريقة يُوصَل بها إلى معرفة سلوك الإنسان وردود فعله الناشئة عن تأثير العوامل الخارجية[2]، فعلم النفس يعد من العلوم المهمة في حياتنا كونه يؤثر في الذات البشرية على مستوى فهمها وفهم أسرارها العميقة، ومن الطبيعيّ أن يكون اهتمامه مُنصبا بوضوح على الذات الإنسانية وقد تطرقنا سالفا لمفهوم **"الأنا"** في علم النفس لدى **"سيجموند فرويد"** النمساوي الذي أسس وأبدع طريقة التحليل النفسي، وهو من الأوائل الذين توغلوا وتعمقوا في **"الأنا"**. لكن ينبغي علينا الالتفات لتعريفات أخرى لتوضيح الأنا أكثر فهو يقول في موضع آخر «**الأنا هو ذلك القسم من الهو الذي تعدل نتيجة تأثير العالم الخارجي فيه تأثيرا مباشرا بوساطة جهاز الإدراك الحسي-الشعور: أي أنا هو عبارة عن امتداد لعملية تمايز السطح. وفضلا عن ذلك فإن الأنا يقوم بنقل تأثير العالم الخارجي إلى الهو وما فيه من النزاعات؛ يمثل الأنا ما نسميه الحكمة وسلامة العقل على خلاف الهو الذي يحوي الانفعالات**»[3]، و«**الأنا ذلك الكائن الذي يقدر أن يُقَيّم أفعاله، وحين يُقيّم أهدافه بعضها بأنها جيدة وخيرة يقدرُ عندها أن يَقيم ذاته نفسها وأنا يقدر نفسه على أنه خَيّر وجَيد**» [4]؛ هذا يحيلنا إلى ذكر ما قاله **"ويليام جميس"***:«**في نفس الوقت الذي أفكر فيه بكون لدي وعي بذاتي بوجود الشخصي فالأنا هو الذي يعيّ ذاته، بحيث تصبح شخصيتي كأنها مزدوجة إذن هي في الوقت عينه الذات العارفة وموضوع المعرفة**»[5]؛ إذن هو ذات وعي وإدراك حتى لحظة التفكير يكون مدّرك لذلك، ويُلمِّح للازدواجية أن **"الأنا"** تعي وفي آن واحد تُنتج. « **أما الملامح الجوهرية "للأنا" في رأي أحد علماء النفس:**

---

[1] سيجموند فرويد: **الأنا والهو**، ص 17.

[2] ينظر: جميل صليبا: **علم النفس**، دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ط2، 1404هـ-1984م، ص 55.

[3] سيجموند فرويد: **الأنا والهو**، ص ص 42-43.

[4] **بول ريكور**: **الذات عينها كآخر**، تر: جورج زيناتي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص 361.

* **ويليام جيمس (1842-1910م)**: فيلسوف وطبيب أمريكي، ولد في مدينة نيويورك تخصص في علم مجالات (الفيزيولوجيا)، علم النفس والفلسفة، ومن أبرز أعماله: "مبادئ علم النفس"، كان سبب وفاته مرض في القلب. ينظر: رسل قودمان: **ويليام جيمس**، مجلات الحكمة، موسوعة ستارفورد للفلسفة، بتاريخ 17 نوفمبر 2019، ص ص 2-3-6.

[5] جلال الدين سعيد: **معجم المصطلحات والشواهد**، دار الجنوب للنشر، تونس، د.ط، 2004م، ص 57.

أ- أنه بناء مكون من حوافز عديدة يحاول إشباعها.

ب- يتم توجيهه في هذا العمل بواسطة الإدراك الذكي للموقف أو كذا ذكريات التجارب الماضية عن الثواب والعقاب والتي تحفظّ للحوافز تكاملها وللسلوك ثباته» .[1]

إن هذا الوعي والسلوك يكون على الأغلب بين الفرد ونفسه، ولكن يختلف ذلك السلوك إذا ارتبط بالعالم الخارجي فيتدخل علم الاجتماع ويفرض مفاهيمه بصفته المسؤول عن دراسة علاقة الذات بالتفاعلات البشرية المجتمَعِية.

ج- من منظور علم الاجتماع:

يعد علم الاجتماع مثله مثل علم النفس من العلوم المهمة، في الحياة اليومية للإنسان كونه يأثر هو أيضا على الذات البشرية على مستوى التفاعلات الإنسانية والسلوكية داخل المجتمع، فكثيرٌ من علماء الاجتماع بيّنوا ما للمجتمع وبيئته من تأثير في نفسية الأفراد، فَعرَّفوا **"الأنا"** من منظور علمهم: «**أنه فرد واعٍ بهويته المستمرة ولارتباطه بالمحيط، فإحساس الفرد بآناه لا يتحقق إلا بعد إدراكه لكينونته أوَّلاً، كيف لا وجسدي هو مركز التوجه، نقطة الصفر منه أرى كل ما أستطيع رؤيته ... فهو عامل محرك لمجرى الإدراك**»[2]؛ كلما توسع مجال الرؤية وحركية الجسد بتغيير المكان ووضعية الزاوية المعنية للجسد يترك ذلك بصمة في نفسية الفرد الواعي سلبا أو إيجابا، وبهذه الطريقة يتواصل **"الأنا"** مع محيطه الخارجي ليثبت وجوده المدرك. إذ أن «**الإنسان يولد ضعيفا عاجزا فتزوده الهيئة الاجتماعية بوسائل حفظ البقاء، فهو إذن مدين لها ببقائه كما هو مدين للطبيعة بوجوده، ألم تجده الهيئة الاجتماعية ضعيفا فقوته ومُعدما فأغنته؟ إن استقلال الإنسان عن الهيئة الاجتماعية مسألة نظرية لا أساس لها في الواقع**»[3]، لأن الإنسان يولد صفحة بيضاء والطبيعة تكتب عليه ما تشاء فهو يولد لا يعرف شيء لكن ذلك المحيط الذي ينشأ فيه يزوده بأساسيات العيش والبقاء، فلا يستطيع أن يعيش في عزلة وحده عن محيطه أو ينفصل عنه لأن ذلك سيجعله مريضا نفسياً. ويمكننا القول أنه هناك ثلاث عوامل[4] أساسية تؤثر في تكوين الشخصية:

«**العامل الحيوي: وهو مجموع الإحساسات الجسدية.**

والعامل النفسي: وهو مجموع الذكريات والتصورات والأفكار.

والعامل الاجتماعي: وهو ما يتصل بنا من آثار الحياة الاجتماعية» .

---

[1] عمرو عبد العلي علام: **الأنا والآخر الشخصية العربية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي**، ص 10.

[2] بوحلايس سولاف: **صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2008-2009م، ص 10.

[3] جميل صليبا: **علم النفس**، ص 99.

[4] المرجع نفس، ص 386.

ومن المتعارف أن الإنسان ابن بيئته، فهو كائن اجتماعي لا يستطيع العيش منعزلاً يدفعه ذلك للتأقلم مع المجتمع ليُعزِز وعيه النفسي ويطوره لِوَعي جماعي «**فتواجده مع مجموعة من الناس يلغي تعدّد الأنوات الفردية ويختزلها ضمن نطاق واحد هو "نحن" أو "الأنا الجمعية»**[1]. والانتقال من **"الأنا"** إلى **"نحن"** لا يُحدِث تغييرا كبيرا إلا في مستوى الشكل والجوهر مثلها مثل **"الأنا"**، والنحن هي امتداد للأنا زمانياً ومكانياً ويفوق هذا الامتداد عُمري الفردي وحَيِّزي الفردي المكاني والاجتماعي وعندما تنتهي الحدود الفردية بين الأنا والآخرين ينصهر كل منهما في بوتقة واحدة هي الجماعة[2]، وجاء مفهوم « **النحن في المعجم الفلسفي "النحن باللغة الفرنسية هو Nous وفي الإنجليزية we وهو ضمير منفصل لمثنى المتكلم وجمعه يُعبّر عنه الإثنان أو الجميع عن أنفسهم وقد يُعبر به الواحد عن نفسه عند إرادة التعظيم أو المشاركة، فالمُتكلم الواحد الذي يقول نحن لا يعبر عن نفسه دائما بَل يعبر في بعض الأحيان عن أسرته أو مهنته أو حِزبه أو طائفته ...»**[3]، ويقول **"هيغل"***: «**أن الفرد يكتشف "الأنا" الخاصة به عن طريق الآخرين في سياق عملية الاحتكاك والنشاط منتقلا بذلك من الخاص إلى العام»**[4]؛ أي من الفردية إلى الجماعية لأن الأشياء تعرف بضدها مع اختلاف **"الأنا"** من فرد إلى فرد آخر، فعند إلغاء **"الأنا والآخر"** كليهما يَصيّران بمعنى واحد آلا وهو الجماعة، لأنه في الحقيقة لا يمكن أن تقوم الأنا بمفردها ولا الآخر بمفرده، ولا يستطيع أن يستقل الفرد بشخصيته، إلا إذا كان داخل وسط جماعي أو محيط واختلط به وبذلك فقط يمكن أن يتفرد بذاته وشخصيته عن غيره.

وممّا سبق ذكره يمكننا القول أننا أمام علوم متعددة ومتفرعة تباينت آراء باحثيهم حول تسمية الأنا وشرحها وتفكيكها من جميع جوانبها بالأدوات الخاصة بهم، فكانت النظرة مختلفة والمفهوم متقارب.

المبحث الثاني: مفهوم الآخر

يولد الإنسان بالفطرة اجتماعيا، ابن بيئته وجزء لا يتجزأ منها وللاندماج مع مجتمعه عليه أن لا يعيش بمعزل عن الآخرين وأن يتفاعل ويتواصل معهم ويتقبل الاختلافات والفروقات فيما بينهم. فقد اتجه محور اهتمام الإنسان المفكر منذ

---

[1] بوحلايس سولاف: **صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري**، ص 11.

[2] ينظر: تركي حمد: **الثقافة العربية في عصر العولمة**، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص 196.

[3] جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، ص 461.

* **هيغل (1770–1831)**: جورج ويلهلهم فريديريك هيغل، فرنسي الأصل، تلقى تكوينه الفلسفي في مدرسة إليكيريكية يجري فيها قساوسة، ثم انتقل إلى مركز تدريس جديد في سويسرا، حيث بدأت مسيرته الفلسفية منه، أهم أعماله موسوعة العلوم الفلسفية. ينظر: مجموعة مؤلفين، هيغل: **مقاربات نقدية لنظامه الفلسفي، العتبة العباسية المقدسية، النجف**، العراق، ط1، 1441هـ- 2020م، ص ص 21-22.

[4] إيغوكون: **البحث عن الذات دراسة في الشخصية ووعيّ الذات**، تر: غسان نصر، دار معد للنشر، دمشق، سوريا، 1992م، ص 23.

القدم إلى تشكيل بِنيّة معرفية عن الآخر، وعلى هذا الأساس حاولنا ضبط مفهوم "**الآخر**" بإيجاز انطلاقا من اطلاعنا على عدة معاجم وقواميس حتى نجلي مدلولها.

أولا: لغة

ومما لا شك فيه أنه للوصول إلى المعرفة لأي لفظ لابد من التعريج على قالبه اللغوي أولا، إذ تعتبر المعاجم اللغوية المرشد الرئيسي في عملية البحث والمنطلق الأساسي للغوص في معنى اللفظة، فنجد الآخر يأتي بمعنى «**غير، ج: بالواو والنون، وأُخَرُ، والأُنْثى أُخْرَى وأُخْرَاه، ج: أُخرياتٌ وأُخَرُ**».[1]

وورد كذلك بأنه: «**الغير، ولكن مدلوله خاص بجنس ما تقدّمه. فلو قلت: جَاءني رجل وآخر معه، لم يكن الآخر إلاّ من جنس ما قلته، بخلاف "غير" فإنها تقع على المغايرة مطلقا**».[2]

«**والآخر مفرد وجمعه آخرون وتقال للعاقل وأُخَّر وأواخِرُ، وأخر؛ أحد الشيئين يكونان من جنس واحد "وَدَعْ كل صوت غير صوتي فإنني ... أنا الصائح المُحكيّ والآخر الصّدى «–أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ، خمرا وأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ)، وهو الوجه الآخر للعملة– بين آونة وأخرى / بين فترة وأخرى: بصورة متقطعة – بين حين وآخر / من آن لآخر. أحيانا مرة أخرى: مرة ثانية – من ناحية– من وقت إلى آخر: من وقت إلى وقت غيره – هو الآخر. مختلف، مغاير أو بمعنى غيره "ثمّ أنشأناه خلقا آخر**».[3]

صب مفهوم الآخر في معظم المعاجم العربية السابقة في حقل دلالي واحد ألا وهو الغير، مع وجود اختلاف طفيف في الاستعمال فالغير أشمل من الآخر، في حين تُوظف الآخر في سياق الكلام على نفس الجنس الذي اقترنت به هذه اللفظة.

جاءت هذه اللفظة في المعاجم الفلسفية (آخر، غير) في اللغة الفرنسية بـ Autre، وفي اللغة الإنجليزية other، وهو أحد مفاهيم الفكرة الأساسية، نقيض الذات Même، ويقال في كلمات شتَّى divers، مختلف différent أو مميّز. على أن هذه الأخيرة تتعلّق بالعمليّة العقلية التي تُعرف الغَيْريّة بواسطتها؛ بينما تقال الأولى، خُصوصا، على وجود

[1] محمد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 1429هـ-2008م، ص 41.

[2] لويس معلوف: **المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية**، بيروت، لبنان، ط19، 1908م، ص 05.

[3] أحمد مختار عمر: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1429هـ-2008م، ص 70.

الغيريّة من حيث هي موضوعية. راجع واحدّي Identique وذات Même [1]؛ فالآخر هو الوجه المعاكس للأنا وهو نقيض الذات والضد المقابل لها، يعتبر العقل الأداة المثلى لمعرفة الغير وبه يثبّت وجود اللّيس (العدم واللاكائن).

ثانيا: اصطلاحا

ليس من السهل إيجاد مفهوم صريح وكلي لـ **"الآخر"** كونه مصطلح تجاذبته اتجاهات متعددة وميادين متشعبة (فلسفية، نفسية، اجتماعية ...) مثلها مثل **"الأنا"**، فحاولنا من هذا المنطلق إلقاء الضوء على بعض المفاهيم المرتبطة بـ "الآخر". الذي هو في أبسط صورة مثيل أو نقيض الذات أو الأنا وقد ساد كمصطلح في دراسات الخطاب، سواء الاستعماري (الكولونيالي) أو ما بعد الاستعماري وقد شاع المصطلح في الفلسفة المعاصرة خاصة عند **"جان بول سارتر"***، و**"ميشيل فوكو"****، و**"جاك لاكان"***** ... وغيرهم.[2]

يقول **"جان بول سارتر"** في كتابه الموسوم بالكينونة والعدم أن «**الآخر هو الغير، أي الأنا الذي ليس هو الأنا، وأنا لست هو، إن عبارة "ليس" تدل على العدم من حيث هو عنصر معطى يفصل بين الآخر وبيني**»[3]؛ فالآخر هو المقابل والمخالف للذات، الذات التي هي غير ذاتي أو غير نفسي، الذات التي يمتلكها ويمثلها **"الآخر"** يتفرد بها عني ونقيضه غيره، الآخر الصورة المعاكسة للأنا والذي يفصل بينهما **"اللّيس"** وهو اللاشيء الذي نتصوره عند غياب الشيء، وكما جاء في أحد الأبيات الشعرية:

«ضِدّان لمّا استجمعا حَسُنا والضِدُّ يُظهِرُ حُسْنَه الضِدُّ» [4].

فمقابلة الشيء بنظيره أو ما يعارضه يُمكّننا من التفرقة بينه وبين الآخر، ويوضح بذلك لنا ملامحه الخاصة وما يمتاز به من صفات وخصائص، ولا يعد الاختلاف بين الثنائيتين (الأنا / الآخر) تناقضا فتعارضهما وتبايُنهما يقود

---

[1] ينظر: أندريه لالاند: **موسوعة لالاند الفلسفية**، ص ص 124-125.

[*] **جان بول سارتر (1905-1980)**: من أشهر الفلاسفة في القرن العشرين، أكسبه التفكير الفلسفي المتواصل الإبداع الأدبي، ملتزم سياسي، يعرف بأبو الفلسفة الوجودية، من أهم أعماله: "الوجود والعدم". ينظر: تر: سارة للحيدان، مجلة الحكمة، منشور على **موسوعة ستانفورد للفلسفة** https://plato.stanford.edu/archives/fall2013/entries/sartre/ ، 2017، ص ص 2-3.

[**] **ميشيل فوكو (1926-1984)**: مؤلف وفيلسوف فرنسي، ارتبط اسمه بالحركات البنيوية وما بعد البنيوية تجاوز تأثيره مجال الفلسفة ليمتد في تخصصات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، من أهم أعماله: "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي". ينظر: غاري كوتينق، تر: فريق حكمة، مجلة الحكمة، **موسوعة ستانفورد** للفلسفة https://plato.stanford.edu/archives/win2014/entries/foucault/، 2020، ص 2.

[***] **جاك لاكان (1901-1981)**: يلقب باسم "فرويد الفرنسي" ويعد شخصية مهمة في تاريخ التحليل النفسي. ينظر: تر: سليمان السلطان، مجلة الحكمة، **موسوعة ستانفورد الفلسفية** https://plato.stanford.edu/archives/fall2018/entries/lacan/، 2022م، ص 2.

[2] ميجان الرويلي، سعد البازعي: **دليل الناقد الأدبي**، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002م، ص 21.

[3] جان بول سارتر: **الكينونة والعدم**، تر: نقولا متيني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص 322.

[4] القاضي عليّ بن المحسن التنّوخي: **القصيدة اليتيمة**، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط2، 1974م، ص 30.

ويجذب كل واحد منهما نحو الآخر. «**فالآخر حضور يحتد فيه شعور الذات بذاتها. وتزداد رغبتها بالاكتمال عبر الامتزاج به أو بما يرمز إليه**»[1]؛ فالشعور بالنقص وعدم الاكتمال دائما ما يتملّك الذات فيدفعها إلى سدّ فراغاتها وما تفتقر إليه بالآخر.

الإحساس "**بالذاتية**" أو "**الهوية**" يمر عند الإنسان عبر الإحساس "**بالاختلاف**" أو "**الآخرين**" حيث تقوم ماهية الإنسان في وجوده خارج نفسه، أي تواجده المتحقق في العالم وبين الآخرين، وبذلك يخضع للحُكم والدراسة والتأمل مثل أي موضوع آخر[2]. فالآخر «**ليس كائنا نصادفه فيهددنا أو يريد أو يستولي علينا، وهو إذا كان عصيا على سلطتنا فهذا لا يعني أن يمثل سلطة أكبر من سلطتنا إنه الآخرية التي تصنع كل سلطة**»[3]. وهذا شرح بسيط يوضح لنا أنّ "**الآخر**" مقيد بالذات ومرتبط بها ارتباطا وثيقا فرغم أنه يمثل السلطة إلا أنه لا يلغي وجود "**الأنا**" أو يقلل من قيمتها وشأنها حتى مع تغيره واختلافه والنقطة المركزية التي يُحتَكَم إليها في تعيين الآخر هي الذات، فنقول أن "**الآخر**" و"**الأنا**" مرآتان عاكستان لبعضهما وهذه المرآة عموما تتيح للإنسان إمكانية إثبات وجوده وتحقيق ذاتيته.

بالرجوع لما سبق ذكره في المفهوم اللغوي أن لفظة الآخر ولفظة الغير تختلفان من ناحية الاستعمال فالأولى تفيد استثناء الشيء من جنس ما تقدمه، والثانية عكس الأولى ليست مقيدة أي من غير استثناء الجنس المقترن بها، وقد اتخذ الفلاسفة لمصطلح "**الآخر**" دلالات أخرى تعوضه وتخلفه كالآخرية والغيرية.

«**الغيرية مشتقة من "الغير" وهو كل من الشيئين، خلاف "الآخر". وقيل كون الشيئين يتصور وجود أحدهما مع عدم الآخر، وهي مرادف للتغاير، وهو أن يكون الشيء مختلفا عن غيره، أما المُغايَرة فيقول "ابن سينا" تكون بين أشياء مشتركة في حد واحد، إما لاختلاف المواد، وإما لاختلاف ما بين الكلي والجزئي. ويقابل الغيرية الهوية**»[4]. والتي هي عبارة عن مركب من العناصر المرجعية المادية والاجتماعية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي. وتعد متغير من المتغيرات كونها مركبة من عدة مركبات لكنها تتميز بثبات معين كون الإنسان يولد ويكبر ويشيخ وتتغير ملامحه لكنه يبقى هو وليس شخصا آخر، فالعربي اليوم مثلا، ليس هو العربي قبل ألف عام ولكنه يبقى عربيا[5]؛ وبذلك نستشف أن الهوية هي مجموعة المعطيات التي تشكل الفرد وبنيته الداخلية والخارجية والتي يعرف من خلالها وبها، تلك المعطيات الشعورية التي نكتسبها عن طريق التجارب الحسية والتي تعتبر النافذة التي

[1] سعد البازعي: **مقاربة الآخر**، مقارنات أدبية، دار الشروق، مصر، ط1، 1420هـ-1999م، ص 12.

[2] ينظر: محمود رجب: **فلسفة المرأة**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1994م، ص 191.

[3] إيمانويل ليفيناس، **الزمن والآخر**، تر: منذر عياشي، دار نينوي، دمشق، سوريا، ط1، 1436هـ-2015م، ص 60.

[4] محمد الهلالي، عزيز لزرق: **الغير دفاتر فلسفية نصوص مختارة**، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2010م، ص 09.

[5] ينظر: تركي الحمد: **الثقافة العربية في عصر العولمة**، ص 18.

نطل بها على العالم الخارجي، نعم يكون هناك تغير على المستوى الخارجي (البدن) بفعل الزمن والظروف لكن يبقى الشخص هو نفسه المتميز بسلوكه وتفكيره عن غيره، فالآخر كان له بصمة واضحة وبشكل كبير في تشكيل الهوية فرغم المكانة وضرورة الوجود في الحضور إلاّ أنه هناك ما يدعوا إلى أخذ الحيطة والحذر اتجاهه.

نخلص ممّا سبق أن الآخر ذو مفهوم بسيط أولي يتأسس عليه التفكير ولا يمكن تعريفه إلا من خلال مرادفه أو مقابله ولا يمكننا فصلهما عن بعضهما البعض.

المبحث الثالث: العلاقة بين الأنا والآخر

كل ثنائية في هذا العالم قائمة على علاقة ما، كون كل شيء خلق في هذا الكون له مقابل ومرادف وهذا من الطبيعة البشرية، يقول "**عبد القاهر الجرجاني**"*: **أن القضاء في الأشياء سببا في حسن البيان وسحر الكلام. وجزءً أصيلا في تكوين الصورة، ذلك في الوفاق الحسن مع الخلاف البيّن**[1]؛ وبذلك يبين لنا أن قيمة الشيء في ضده وخلافه وأن معرفة حسن الشيء من قبحه مقرون بمعرفة التضاد لأنه يلعب دور كبير في كشف القيمة المتعالية والمتدنية مع إعراب الجوهر مما يؤدي إلى تكوين وصناعة دلالة ومفهوم واضح جلي للأشياء. هذا العالم كله عبارة عن مجموعة من الثنائيات المتشابكة والمتداخلة ومن أهم الثنائيات على الإطلاق التي تعتبر محور الوجود والكون ثنائية "**الأنا**" و"**الآخر**"..، الأنا ذلك الجانب الشعوري من الإنسان، أما الآخر فهو كل ما قابل الأنا وواجهها. فشغلت هذه الأخيرة تفكير الأدباء والروائيين خاصة وحركت قريحتهم وجعلهم ينطقون بأقلامهم حول طبيعة العلاقة بينهما، وقد فرض ذلك التباين بينهما سواء كان اختلاف من ناحية الدين أو اللغة أو حتى من ناحية الفكر والثقافة وجود نظرة ورؤية عميقة ومغايرة عن "**الأنا**" أو "**النحن**" أو "**الغير نحن**". وبالتالي سيكون هناك نوعا من الانعكاس على شبكة العلاقات بين الكل والجزء والعكس، وبهذا قد شحنت الآراء واختلفت حول طبيعة العلاقة بينهما وما الشيء الذي يربط كل واحد منهما بالآخر؟.

فبمجرد ذكرنا لهاذين المصطلحين يحيلنا ذلك مباشرة للدلالة على الشرق والغرب صاحبا الصراع الطويل منذ بداية الحياة الإنسانية والقائم لحد الآن على مستوى جميع الحقول الفكرية والمعرفية، ولاستقصاء العلاقة بين الشرق والغرب

*أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (400هـ-474هـ/1009-1078م): عالم نحوّ والبلاغة، قرأ ونظر في تصانيف سلفه من النحاة واللغويين اتسع علمه ليشمل جل مجالات اللغة المختلفة كالنحو والصرف والبلاغة، ومن أهم مؤلفاته: "دلائل الإعجاز"، "أسرار البلاغة"، "إعجاز القرآن". ينظر: عبد الرحيم البار: **عبد القاهر الجرجاني: حياته ومؤلفاته ومنهجه اللغوي**، مجلة الإشكالات، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، مج: 6، ع: 03، 2017م، ص ص 241-242-244.

[1] ينظر: عبد الرحمن أحمد إسماعيل كرم الدين: **الثنائيات الضدية في نقائض الجرير والفرزدق والأخطل وأثرها في أداء المعنى الشعري**، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القسيم، مج: 5، ع: 1، ص 7.

يلزمنا العروج على مدلول الكلمتين ومدى مساحة التعبير الحضاري لكل منهما. فكلمة الشرق اختلف مدلولها باختلاف الحقبات كما هو الحال بالنسبة لكلمة الغرب وتستعمل للدلالة على البلاد العربية بشكلها الحالي والعرب بشكل عام منذ ما قبل الفتح الإسلامي، أما كلمة الغرب فتستعمل للتعبير عن مجموعة الدول التي تُكوّن أوروبا بشكل عام وأمريكا الشمالية[1]. «**والعلاقة التي تجمع بينهما هي علاقة مجنسة علاقة قوة، تحد وفعل، انفعال وإيجاب، سلب وقوة وتحكم**»[2]؛ أو بمعنى أوضح تتحول العلاقة بينهما في كل مرة حسب الوضع، قد تكون علاقة تجاذب وانبهار وصداقة أو علاقة صراع وعداء وحتى نفور إن تجسد "**الآخر**" في هيئة مستعمر مستبد. ولعل الشيء الذي يفصل بين الشرق والغرب أو أمة ما، هو امتلاكها أو عدم امتلاكها للعقول المبدعة، إذ تعتبر هذه النقطة الحاسمة بين تقدم الشعوب وبروزها وتطورها وبين تخلف شعب آخر وتخلفه وجهله.

كان التجاذب متبادلا من كلا الطرفين الغربي منجذب للعرب ومهتم بثقافتهم حيث نشأ الشغف الاستشراقي، أما انبهار العرب بهم كان سببه التطورات التي مست الأدب إثر النهضة الأوروبية مما دفعهم وحفزهم لاكتشاف عوالم جديدة رغم أنه لم يكن في معزل عن العالم بادئ البدء، فانطلقت البعثات والرحلات والحركات الطلائعية من كلا الجانبين وهذا الاهتمام لم يكن سطحي بالآثار التزويقية والشكلية بالمعنى الحصري ولا بقصد التعرف عليه فحسب بل لمعرفة ظروفه التاريخية والسياسية وما إلى ذلك وحتى معرفة كيفية التعامل معه[3]، حيث يعتبر الانفتاح على الغرب في نظر بعض الأدباء مكسباً لنا إذ أن «**الهوية ملامحها لا تتضح من دون لقاء مع الآخر والعزلة عنه تجعلها ذات بعد واحد**»[4]، والحل هو تخطي الفكر القديم والنظرة البدائية القائمة على أساس أن الآخر دائما وأبدا هو العدو اللدود، «**وحضور العرب في مشاريعنا المستقبلية ذو حضور مزدوج: نحن نستحضره كخصم نخشاه وفي ذات الوقت كمثال ونموذج يفرض علينا الاقتداء به بشكل من الأشكال، على الأقل في مجال العلم والتكنولوجيا**»[5]؛ فرغم شعور الأنا بعدم امتلاكها القدرة أيّا كانت لمجابهته ومواكبته وشعورها بالضعف والتهميش من قبل الآخر وربما حتى الخطر، إذ هو المسيطر والمهيمن على جميع المجالات إلا انه وجب عليها إن صح التعبير الخضوع والرضوخ له لأن شمسنا أشرقت عليه، فمن الضروري على "**الأنا**" أن تنهل وتأخذ منه بسبب قدرته الإنتاجية للعلوم والتكنولوجيا والمعارف..، "**فالآخر**" في كثير من الأحيان ينظر لنا نظرة استحقار واستصغار وبأننا لا نرقى حتى لمنافسته، ولهذا تجلت الملامح

[1] ينظر: سالم المعوش: **صورة الغرب في الرواية العربية**، ص 70.

[2] جورج الطرابيشي: **شرق غرب رجولة وأنوثة**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص 17.

[3] ينظر: طاهر لبيب: **صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه**، ص 177.

[4] ماجدة حمود: **إشكالية الأنا والآخر**، ص 17.

[5] محمد العابد الجابري: **مسألة الهوية العروبة والإسلام ... والغرب**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ص 140.

المجنسة في علاقة الأنا والآخر، والشوق والغرب، لأنه بينهما صدام وحوار وتواصل في آن واحد النابع من الاختلافات البيّنةُ.

ولهذا دعا "**حسن حنفي**"* إلى: «**إعادة كتابة الفلسفة الغربية من زاوية "الأنا" أي من زاوية الرؤية الإسلامية أو العربية الإسلامية وحدها**»[1]، فبموقفه هذا يرى الآخر كالثعبان الذي لا مأمن فيه وأنه وجب أخذ الحيطة والحذر منه، حتى في الأخذ من تراثه وجب علينا الأخذ منهم من زاوية ديننا وإسلامنا فقط، لأنه يعتبر فكرهم وتراثهم كالمواد المتفجرة في أراضينا وهي مستورة داخلها وإذا داسها دائس انفجرت، متخذة بذلك وبكل ما تعنيه الكلمة من مميزات الحيوان في المكر والخداع وحتى في الاختباء الخفي غير المرئي الذي يغري به الواحد ثم يلدغه من حيث لا يدري. لهذا تقول "**ماجدة حمود**"**: «**فَقَد المستشرقين الموضوعية، حيث وظّف بعضهم دراساته لخدمة الفكر الاستعماري. فبدأ يعمل على إضعاف أهم روابط الهوية في الشرق (اللغة والدين)**»** [2]؛ تؤيد ماجدة حمود ما دعا إليه حسن حنفي في أن الآخر لا مأمن فيه فهو في غالب الأحيان ينظر نظرة ازدراء للغير وخاصة العربي المخالف لدينه، فكل ما يتم إنتاجه من أفكار وما يتم تعليمه داخل محيطه يدعم ويشجع على الغزو والاستعمار والسيطرة سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لا محسوسة ولا مرئية من أجل ضرب الركيزة الأساسية التي تقف عليها الدول العربية ألا وهي اللغة والدين التي تمثل عمودها الفقري. وفي دراسة لحسن حنفي في تلخيص الإبريز للطهطاوي، فينظر إلى الصفات المشتركة وغير المشتركة بينهما، كالعلاقة فيقول: «**ومن أمثلة الصور المتقابلة المعكوسة: ذكاء الآخر وغباء الأنا، ذكاء باريس وغباء أقباط مصر، وكذلك بخل الآخر وكرم الأنا، بخل أهل باريس وكرم العرب**» [3]؛ فتارة تكون الآخر هي الحسن والإيجاب وتارة تكون الأنا هي ذات الصورة الإيجابية والآخر عكسها، وهذا ما سماه بجدل الحضور والغياب وفي جهة أخرى يمكن أن يكونا في كفة واحدة ووتيرة واحدة متساويين في السمات والمميزات فيقول: «**وهو الشَرَف الذي يقسم به العرب**

---

* **حسن حنفي**: ناقد مصري معاصر، مفكر أكاديمي وأستاذ جامعة، صاحب رؤية تثير من الاختلاف والحوار والجدل أكثر من الاتفاق أو تقديم حلول نهائية، أعاد تأسيس الجمعية الفلسفية المصرية التي قامت في الأربعينيات على جهود إبراهيم مدكور ... وغيره، طرح الكثير من القضايا بكتاباته، وله العديد من الجهود: كمحاولة إعادة بناء مشروع التنوير وفقا لأسس تضمن إجماع القوى الوطنية والقومية والإسلامية، وجهود هامة أيضا في ترجمة بعض نصوص التنوير العربي والتعريف بها مثل: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسط. ينظر: أحمد عبد الحليم عطى: **جدل الأنا والآخر (قراءة نقدية في فكر حسن حنفي في ميلاد الستين)**، مكتبة مدبولي الصغير، ط1، 1997م ص ص 11-30-29.

[1] أحمد عبد الحليم عطى: **جدل الأنا والآخر (قراءة نقدية في فكر حسن حنفي في ميلاد الستين)**،ص 179.

** **ماجدة حمود**: من مواليد 15نوفمبر 1954 في العاصمة السورية دمشق، كاتبة وناقدة وشاعرة سورية صدرت لها العديد من الكتب والروايات الدراسات النقدية لعلّ من أبرزها: "النقد الأدبي الفلسطيني في الشتات، القلق وتمجيد الحياة. ينظر: ويكيبيديا: **موسوعة حرة**، تم الاطلاع على الموقع: https://ar.m.wikipedia.org، بتاريخ: 15-04-2023، على الساعة 13:23.

[2] ماجدة حمود: **إشكالية الأنا والآخر**، ص 20.

[3] الطاهر لبيب: **صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه**، ص ص 192-193.

ويتعاهدون به، وفي الحرية وفي الافتخار وفي النسب»[1]، وكأنهما في سباق التعادل تارة إحداهما فائزة والأخرى خاسرة والعكس، وتارة أخرى متعادلين. وعلى الرغم من هذا الصراع إلا أن «**أجدادنا لم يشعروا بالخوف على هويتهم، حين انفتحوا على ثقافة الآخر، لأنهم كانوا أقوياء واثقين بأنفسهم، حتى في عصر النهضة (في القرن التاسع عشر) كانوا أكثر ثقة وجرأة في حماية هويتهم؟ ألم نجدهم أكثر انفتاحا على الآخر، مما نحن عليه اليوم !؟ ألم يكونوا أكثر إيمانا بما يشكل ثوابت أمتنا؟ لهذا لم يهب أجدادنا من الحوار، على الرغم من اعتزازهم بخصوصيتهم! ألا يكمن العيب في ذواتنا اليوم، قبل أن يكمن في غيرنا !؟**»[2]. فنرى أن العلاقة بين الشرق (الأنا)، والغرب (الآخر) تنوعت في صدام وحوار وهذا من الطبيعة، ويوجب ذلك الحوار أحيانا والصدام أحيانا أخرى وفي مواضع مختلفة، وفي مقابل هذا يجب علينا توسيع مجال النظر إلى هذين المصطلحين، فهما لا يقتصران على الشرق والغرب فقط «**فالآخر ليس بالضرورة هو البعيد جغرافيا أو صاحب العداء التاريخي أو التنافس الدائم؛ إذ يمكن للذات أن تنقسم على نفسها ويحارب بعضها البعض الآخر. فقد توصلت الماركسية قبل ذلك إلى الصراع الطبقي في المجتمع الواحد**»[3]؛ لم يقتصر الصراع والصدام بين شرق وغرب فقط، فيمكن أن يكون هناك صراع داخلي بين طائفة وطائفة أخرى وبين قبيلة وقبيلة أخرى، بين طبقة فقيرة كادحة وبين طبقة غنية جشعة، بين الفرد ونفسه، بين الأنا ونفسها "**ذاتها**"، وهذا وجدناه داخل روايتنا المختارة "**كوابيس بيروت**" لغادة السمان.

[1] الطاهر لبيب: **صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه**، ص 294.

[2] ماجدة حمود: **إشكالية الأنا والآخر**، ص 19.

[3] الطاهر لبيب: **صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه**، ص 111.

الفصل الثاني

الأنا والآخر في رواية "كوابيس بيروت" لغادة السمان

المبحث الأول: تجليات الأنا في رواية كوابيس بيروت

إنّ موضوع "**الأنا**" و"**الآخر**" شائك ومتشابك لأهميته الكبيرة في تحقيق الوجود وتشكل الحياة واستمرارها، فكلاهما ضروريان ومكملان لبعضهما البعض، الأنا لا تبرز ولا تُثبّت ذاتها إلا بوجود الآخر، والآخر لا يتحقق إلا بتشكل مجموعة الأنوات والذّوات مما خلق علاقة فيما بينهما سواء كانت علاقة إيجاب أم علاقة سلب، فكان موضوع شيق انهال عليه الكتاب والباحثين والدارسين واختاروا الخوض في غماره، فتوالت الكتابات وكثرت حول الأنا والآخر، وهذا ما دفعنا لاختيار رِوايةً برزت فيها ملاح الأنا والآخر، فكانت رواية "**كوابيس بيروت**" للروائية "**غادة السمان**" الحقل الخصب لإجلاء وإظهار كليهما.

كُتبت الرواية تزامنا مع الأحداث التي عاشتها لبنان إبان الحرب الأهلية التي أخذت حيزاً كبيرا من البيت اللبّناني، فسميت هذه الحرب بالحرب الطائفية لتدخل العديد من الأطراف وتشابكها فيها وكان الصراع بينها لأسباب متعددة سياسية اقتصادية ..، لكن يبقى الهدف واحد ألا وهو الفوز بالسلطة والظّفر بها، فحجب ذلك الرؤيا الحضارية والمستقبلية وأدخل لبنان في دوامة حرب طاحنة[1]، وقد خَطت الرِوائية سطور رِوايتها من قلب الحدث إذ أنها عاشت في فوضى وانعدام الأمن مع أهلها، جَرعت من نفس كأسهم ذلك ما حرك قريحتها لتكتب بهذه الطريقة ..، طريقة مكّنتنا من استيعاب وتحديد **الأنا** و**الآخر** في ثنايا الرواية التي تجلت في أوجه عديدة وأشكال مختلفة حسب الحالة النفسية والاجتماعية المحيطة بها.

والآن سنحاول إجلاء ورصد أهمّ الهيئات والصور التي جُسِدت فيها الأنا داخل ثنايا المتن الروائي:

أولا: الأنا بين الكابوس والواقع

تقدم لنا الكاتبة "**الأنا**" متباينة بين كفتين، فتارة تكون مع الوقائع وما تعيشه ومرة أخرى تهرب بنفسها إلى الخيال حتى أنّ حالتها النفسية فرضت عليها ذلك إذ أن «**ملكة الخيال المنتجة هي القوة النظرية الأساسية وبدون هذه القوة العجيبة لا يمكن تفسير أي شيء في العقل الإنساني، وجماع جهاز التفكير يقوم على هذه الملكة ... والخيال قدرة أساسية للأنا على أن يتصور خلاف نفسه. وبملكة الخيال هذه يظل إنتاج الموضوع من شأن الذات، ويبقى في داخل الذاتية المطلقة**»[2]، وفي إحدى الدراسات التي عرجنا عليها لمسنا الفروق الواضحة بين المصطلحين الخيال والحلم والتي بدت جليةً وواضحةً في الرواية، فتراها تتوهم وتتخيل بعد أنّ فتحت الثلاجة بأنّ رأت

[1] ينظر: عدنان فحص: **الحرب اللبنانية (أسباب ونتائج)**، دار الحسام، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ص 14.

[2] عاطف جودة نصر: **الخيال (مفهوماته ووظائفه)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1984،ص ص 23-24.

رأس رجل ميت بداخلها لكثرة ما رأته من لحوم بشرية مكومة على قارعة الطريق المقابل لبيتها: «**عدت وفتحت الثلاجة فقد يكون فيها بعض الخضار ..، لكنني فوجئت فيها برأس مقطوع متجلد مسلوخ الجلد ... وبدأت أصرخ ... وأصرخ ... وأصرخ ... وعبثا حاول شقيقي إقناعي بأن ما أراه هو رأس خروف مقطوع لا رأس بشريا.. وحمل الرأس المقطوع غاضباً، وقال أنه سيهبط إلى بيت جارنا العم فؤاد في الطابق الأول من البيت العتيق كي يتم طبخه هناك ودعاني للحاق به..**» [1]. أصبحت عاجزة عن أكل اللحوم كونها أَمْست تتوهم أن الجزارين يبيعون اللحوم البشرية بدل لحوم الأنغام فَيُخيل لها أن الإنسان يأكل لحم أخيه الإنسان من كثرة القتل وهدر الدماء وسفك الأرواح، أما الحلم فلم يكن لها إمكانية له إذ أنها لم تذق طعم النوم لأيام لذلك بات الفرق واضحا بين الحلم والخيال في المتن الروائي. «**فتأذَن دراسة الوهم وتحليل العلاقة بينه وبين الخيال؛ بشيء غير قليل من الاضطراب والتداخل، وذلك أن التخيل يعرف أحيانا بوصفه التوهم، كما ينحل التوهم إلى العملية التخيّلية برغم ما بينهما من فروق**».[2]

أما الكابوس فهو المصطلح الذي أطرت به الراوية جُلّ عناوين راويتها تلك الكوابيس التي مُزجَت بالأوهام والخيالات المخيفة بسبب الحالة النفسية وحالة الصدمة التي تسكن كيانها من الحرب التي زارت واقتحمت بيتها في ليلة من الليالي، تلك الحرب التي كانت تشاهدها من بعيد وتسمع عنها في الأخبار والقصص والحكايات في غفلة منها ودون توقع في قولها:

«**حينما طلع ضوء الفجر، كان كل منا يتأمل الآخر بدهشة: كيف بقينا أحيانا؟ كيف نجونا من تلك الليلة...**

فقد قضينا ليلة كانت القذائف والمتفجرات والصواريخ تركض فيها حول بيتنا كأن عوامل الطبيعة قد أصيبت بالجنون...وكانت الانفجارات كثيفة كما في فيلم حربي سيء لكثرة مبالغاته...

لم نكن قد صحونا جيدا من "عدم نومنا"».[3]

كما نرى الكاتبة أسقطت صوتها على الراوي، بما أن الرواية عبارة عن مذكرات خاصة بها فكثيرا ما نراها تتخيل أشياء وأمورا مصرحة بها في قولها:

«**سقطت في بئري إلى الداخل حيث الكوابيس ... انفتح الباب ..**

---

[1] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، منشورات غادة السمان، بيروت، لبنان ط1، 1976م، ص 24.

[2] عاطف جودة نصر: **الخيال (مفهوماته ووظائفه)**، ص 60.

[3] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 70.

دخل صديقي بقامته المشدودة كسهم إفريقي ...

كان جسده مغطى بالدم، وفي صدره العاري بعض قطع الزجاج المكسر .. وكان جسدي أيضا قد بدأ ينزف من مساماته كلها. لا أدري إذ كان يؤلمني أم لا. كان مجيئه فرحة لا تصدق ... كنت قد ناديته: تعال أينما كنت .. تعالى كيفما كنت ...

وها هو قد جاء. ضممته إلى صدري فانغرست قطع الزجاج المكسر في صدري أيضا وشعرت أننا التحمنا وتواصلنا... » .[1]

من شدة وقع الصدمة على قلبها، صدمة الحرب وصدمة موت صديقها الذي قُتل أمام عينيها وشوقها الكبير له باتت كل يوم من أيامها تتذكره وتتخيله داخلاً عليها بالهيئة التي رأته بها آخر مرة، وهو مقتول بالرصاص، ممزق في كل موضع في جسده ، والزجاج محشو فيه، لا زالت مشاعر ذلك اليوم تلازمها ألم مروع ينهش قلبها فبقي ذلك محفورا في قاع عِظامها، هي الآن في حالة قلق وذعر وانزعاج كبير بسبب تحول أحلى أيامها معه في لبنان وأجمل ذكرياتهما الجميلة إلى حكاية تراجيدية تعجز عن الخروج منها فسكنت أيامها المستقبلية، ولكن هذه الرؤية التي تجتاحها من حين إلى آخر والتخيلات ما تلبث إلا قليلا حتى تنفك وتتمزق كحلم غائرٍ وخيال كاذبٍ لتلامس مرة أخرى واقعها وحقيقة ما يحدث معها إنّه ما تحمله في كفة يدها الأخرى، فما يميز كوابيسها هو الاستيقاظ المفاجئ لها في خضّم الحرب وقد تجسد كل ذلك في قولها المتكرر الذي لا تنفك عن ذكره كلما كانت غارقة في أوهامها: «**ثمّ دوى انفجار...وتمزق الكابوس...**».[2]

الأنا تحيا تحت وطئة واقع مرير واقع مكرهة عليه وملّزمة بمعايشته بعيدا عن الأحلام الملونة سوداوية كانت أو وردية واقع حزين مأساوي بكل ما تعنيه الكلمة، فوقع الحرب وأحداثها بث الرعب والهلع في نفسها فانعكست كل تلك السيناريوهات على الوجوه والنفسيات، فأصّبح الشعب اللبناني يُمسي ويَبيّت على الحروب ويصبح عليها، فَجَرّت هذه الأحداث الأنا الراوية إلى تعب وإرهاق جسدي ونفسي، سائقةً ومسقطةً إياها في عذاب كبير ذاقت بسببه أقصى أنواع الاضطهاد والتهميش فقالت: **لقد عشت في ظروف لا حدّ لقصوتها...واضطررت إلى النوم في أمكنة مسكونة بالبرد والغربة والأشباح الرمادية...**»[3]، عذاب يشبه عذاب القبر عذاب الحياة لأنّها سجينة في بيتها والذي في أي لحظة

[1] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص ص 12-13.
[2] المصدر نفسه، ص 13.
[3] المصدر نفسه، ص 17.

من اللحظات يتحول إلى لَحَدٍّ وقبر حقيقي إن أصابتها رصاصة قناص أو قنبلة فتنسفها. إنه الواقع وصدمته فهو: «**ما تعلق بفكرة الشيء chose، لكن بالمعنى التام لهذه الكلمة: ما يشكل موضوعا محددا منطقيا، مستديما، وله استقلالية معينة، يمكن تصوره كأنه مظهري كليا، وكأنه ملازم للتمثل**»[1]؛ فهو يظهر لحواسنا الخمسة نستشْعره ونراه ونلمسه وهو ضد الوهم والخيال يستثني الهلوسات الشخصية والتي رأيناها طاغية على **الأنا الرواية**، فقد صورت الوضع الحقيقي الذي تعيشه الأنا اللبنانية والحالة التي آلت إليها والتي صارت كالعلقم في أفّواههم، تلك المنطقة التي أُلحق بها الدمار، كان الناس يعيشون فيها الحرمان والتهميش وفقدان أدنى شروط ومقومات الحياة، يعيشون فيها الفقر والجوع ويتقاتلون في ما بينهم حتى على رشفةِ ماء وعلى قطعة خبز تسد جوعهم ورمقهم، أدّنى ضروريات الحياة غير موجودة من كهرباء مقطوعة ومواصلات معدومة من أجل أن يصلوا بها إلى برّ الأمان، فازداد الوضع سوءًا وطال الحال على هذا الوضع، فقد نهشت الحرب طاقتهم وجهدهم على العيش فدبت الكآبة والبؤس وتسللت داخلهم، وجدوا أنفسهم قد اصطدموا بجدار الواقع المروع.

لم يتوقف شلال الرصاص المنهال عليهم إلا في حالات نادرة وإذا توقف ترى اللبناني يحاول إما الهرب من سجنه أم تراه يبحث على لقمة لسدّ جوعه؛ كذلك البقال العجوز الذي حاول وضع بعض أرغفةِ خبز في سلة مربوطة بحبل ليبعثها لأم تقطن في الدور الثالث من البناء، وحينما بدأت السيدة ترفع تلك السلة بيدين ترجفان، كان كل الحي يصلي بقلب واحد وبأمل أن تصل إليها السلة كطفل صغير، طفل المحبة والأمان واهمين وواثقيّن بأن المستحيل ممكن التحقق، لكن ذلك الأمل هوى في فراغ وفي ومضة برق ساد الصمتُ على الصمتِ وسقطت السلة بفعل فاعل، إنه القناص ورصَاصُه رجع بعد توقف ليخبرهم أنه قادر على إصابة أي هدف مهما كان دقيقا ونحيلا كالخيط المعقود بالسلة فقالت: «**وحين هوت السلة، شعرت بأن الحي كله تحول إلى قلب واحد يتنهد بغصة.**

وأدركنا أننا جميعا سجناء ذلك الغول الغامض المختبئ في مكان ما والذي يتحكم بدورتنا الدموية والعقلية والنفسية لمجرد أنه يملك بندقية ذات منظار تدرب عليها بعض الوقت.. ولتذهب إلى الجحيم كل الساعات التي قضيناها في الجامعات والمختبرات لنتعلم ..! »[2]، فكانت واضحةً لهم رسالته التي أراد إيصالها، وتيقنوا كل اليقين أنهم ليسوا بواهمين، وأنّ ما يعيشونه هو الواقع المروع المرير. إلا أنّ صدمة الواقع هذه لم تكن بتلك الحدة التي كان يجب أن يكون عليها لأن بيروت لم تكن قبل الحرب جميلة بقدر ما كان الناس يتوهمون أو أنها كانت تعيش عصرها

[1] عبد الكريم جندي: **مفهوم الواقع في العلوم الإنسانية، نماء للبحوث والدراسات**، القاهرة، لبنان، ط1، 1443هـ، 2021، ص 19.

[2] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 11.

الذهبي حتى جاءت الحرب بل كانت تعيش في سلام قذر بسبب استمتاع الأقلية من شعبها في الحياة اللذيذة على حساب حرمان الأكثرية الأخرى، فالحرب ما كانت إلا وسيلة وأداة أسّقطت قناع الوهم القناع الجميل الذي كانت بيروت معروفة به دائما وأحرقته.

ثانيا: الأنا بين غُربةِ الوطن والهجرة:

ارتأينا في الرواية العديد من الظواهر الاجتماعية، ولعل أبرزها ظاهرتي الاغتراب والهجرة، الموجودتان منذ القدم واللّتان زاد الاستغلال والاهتمام بهما خصوصا في الآونة الأخيرة، ورغم تعدد الأسباب والمصادر لهاتين الظاهرتين إلا أنها غالبا ما تكون بسبب الاستعمار والحروب الأهلية وبسبب الأوضاع المعيشية المزرية، فالاغتراب مصطلح شائع له استعمالات متعددة كونه مرتبط بالحالات النفسية التي تصيب الإنسان وكذا واقعه الاجتماعي الذي في غالب الأحيان يفرض عليه هذه الأخيرة، فقد عرف بـ: «**شعر الفرد أنه غريب عن ذاته، لا يجد نفسه كمركز لعالمه وأنه خارج عن الاتصال في نفسه كما هو خارج عن الاتصال بالآخرين**».[1]

فكانت **الأنا** داخل المتن الروائي بشكل واضح وجلي تعيش اغترابا نفسيا واجتماعيا، تبددت وانقسمت عن مجتمعها وحتى عن ذاتها بسبب الحصار داخل بيروت، جعلت تلك الظروف "**الأنا**" تعيش في عزلة عن الآخرين انطوائية عنهم وعن نفسها أيضا، كل ذلك جعلها تتعرض لما يسمى بالاغتراب والذي أصابها بنوعيه، «**الاغتراب الاجتماعي فيتمثل من المنظور العام في شعور الفرد بعدم التفاعل بين ذاته وذوات الآخرين، والبرود الاجتماعي**» [2]؛ فيشعر الفرد بعدم الانتساب وعدم القبول لتلك البيئة وكذلك الرفض منها لها، ذلك الوضع الذي تغيب عنه المودة والرحمة، الأمن والأمان، الألفة والدفءِ وحتى الاحترام، ليحل محلها كل ما هو مادي وكل ما هو متعلق بالسلطة والحكم والسيطرة والنفوذ، هذا ما ترك "**الأنا**" غير قادرة على الاندماج فيه، فترك نوعا من العداء والكره بين الجميع. فأصبحت الروابط ضعيفة منّفكة منقطعة عن بعضها البعض.

الأنا الراوية كانت دائما تعيش في غربة عن محيطها دائما ما كانت تشعر بعدم الارتياح وعدم القبول ممن يجاورها، فعلى الرغم من سفرها المتواصل إلى البلدان الأخرى إلا أنها لم تشعر بشيء من الراحة فتقول: «**لقد كنت دوما وحيدة مشردة بين القارات والمدن والشوارع والرفاق** »[3]، لذا كانت من الذين فهموا الواقع وأنه إذا لم يجد الفرد الأمان في نفسه داخل وطنه بين أهله لن يراه ولن يعشه في مكان ثانّ. لعل ما جعلها تصبر على هذا الوضع هو مكتبها

[1] جديدي زليخة: **الاغتراب**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وادي سوف، الجزائر، 2012م، العدد:8، ص 349.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 89.

الركن الآمن في حياتها والتي كتبت لها أرشيف وقررت أن تلتصق بها حتى الموت إلا أن حدث ما لم يكن متوقع اشتعال نيران الحرب في بيتها ليتحول هدف الاستقرار إلى اللاهدف لوجهة لا تعرف أين بها ... «**اندلعت الحرب في بيتي وجاءت أول رصاصة لتستقر في رف مكتبتي بذات؟ أتُرَاها صدفة، أم أن القدر أراد أن يذكرني بالدرس الذي كدت أنساه ... بأن الحقيقة الإنسانية الأولى هي التشرد، وأن الاستقرار ليس أكثر من لحظات أنس عابرة. وأن الاستقرار مستحيل في وطن غير مستقرا !..**» [1].

كل ما تلقته **الأنا** من صدمات ومن نوبات هلع زادها ضررا فوق ما هي عليه تركها تعيش اغترابا نفسيا، فهو: «**تلك الحالة التي يشعر الإنسان من خلالها بانفصاله عن الآخرين وعد الانسجام معهم، وعدم القدرة على التكيف الاجتماعي معهم مما يضطره إلى الانعزال**»[2]؛ فها هي الآن قابعة في غرفتها منعزلة في سحبتها في صمت قاطع. صمت تسمع صوت قلبها فيه، تسمع أعضائها التي تنزف باستمرار، غرفتها التي أصبحت غريبة ومألوفة في آن واحد وحالة الانفجارات المستمرة جعلتها تفكر في إمكانية حدوثها داخل بيتها فسيطرت الأفكار السلبية عليها حتى فكرت في كيفية الهرب إن حدث ذلك حقيقةً فصورت ذلك في قولها: «**أما البقية من الجدار فيغطيها ملصق (بوستر) في صورة خضراء كثيفة الأشجار.. فكان بوسعي أن أخطوا إلى داخل اللوحة. هاربة إلى الغابة الأوروبية من جحيم عالمي، وكان بوسعي أن أتسلق الأشجار وألتحق بالضباب وأنام قليلاً...**» [3]، أما بعدما خَرَجت من منزلها الذي يقع في الطابق الثالث من البناية إلى منزل العم فؤاد الذي يقع بيته في الطابق الأرضي لكي لا تتمكن منها الصواريخ الطائشة التي لا تكف عن السقوط في حيهم، اختلف شعور الغربة عندها عن سابقيه، فبعد أن كانت في غربة وحيدة تطورت وتعقدت إلى غربة وهي وسط عائلة العم فؤاد وبعد أن نزلت إلى بيتهم قالت:

«**الغربة قدري...**

رائحة الغرفة غير مألوفة ... الأثاث الكئيب الذي أحسه يرفضني .. لا أدري لماذا أشعر بالانقباض الشديد وسط هذا الديكور الجنائزي..» [4]؛ فكانت دائما ما تتجنب الحديث والحوار معهم، وعلى الرغم من أنهم استقبلوها في بيتهم إلا أنها تشعر بعدم القبول منهم لاختلاف الفكر بينهم، فهم من طبقة غير طبقتها طبقة الكُتاب والفنانين، ولِاختلاف الآراء بينهم فهي تريد الحرية والخروج من معتقلها هذا، أما هم فيريدون البقاء في دارهم ومراقبة أثاثهم الفخمة وممتلكاتهم

[1] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 90.

[2] جديدي زليخة: **الاغتراب**، ص 351.

[3] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 41.

[4] المصدر نفسه، ص 88.

القيمة باهضة الثمن خشية فقدانها وسرقتها من قبل اللصوص والتي يقدرونها أكثر من حياتهم ...، هذه التصرفات من الأمور التي جعلتها تقرر الانعزال وفي نفس الوقت جبرتها على الانطواء عن البيئة، لذا كانت غربة الأنا نفسية واجتماعية بفعل المحيط وظروفه.

صارت الغربة هجرة ... فبعد أن رأينا اغتراب الأنوات في ثنايا المتن الروائي، أصبحت الهجرة لدى بعضهم حتمية لا حل لشعور الغربة داخل وطنهم سوى الهجرة، الهجرة التي اجتاحت العالم كله، العالم الثالث تحديدا الواقع تحت وطأة الاستعمار والفساد السياسي التي جعلها تصنف من الدول المتخلفة. هذه الظاهرة الخطيرة مست أهم فئة في المجتمعات ألا وهي فئة الشباب الطموح الذي يعتبر عماد المجتمع، والتي انتشرت بفعل الواقع المزري لهذه البلدان إلى جميع الأفراد الهاربين من نيران الحرب وخرابها آملين أن يهنؤا في سلام وأمن ويتمتع بالحرية، «**فالهجرة هي الحركة السكانية التي يتم فيها انتقال الأفراد والجماعات من موطنهم الأصلي إلى وطن جديد يختارونه، وذلك لأسباب عديدة**»[1]. معتقدين أن الهجرة ستنسيهم مرارة ما عاشوه في أوطانهم، "**فالأنا**" (**شادي**) المتخرج مؤخرا من إحدى الجامعات كان ذكيا في حقله (الهندسة الإلكترونية) غبيا في الحقول الأخرى التي تتطلب جهدا أساسيًا، كحمل السلاح فهو لا يستطيع أن يشارك مع الثوار والمجاهدين على عكس أصدقائه ورفاقه المحترفين في حمله، حتى أفلام هذا الطابع تسبب له قيئاً لا إراديا فما أدراك بأن يعيشها حقيقةً، لذا أصبحت الهجرة بالنسبة له حاجة ضرورية فقرر أن يهاجر ويكمل دراسته في إحدى الدول الأوروبية بعد حصوله على منحة دراسية كاملة. أخبر أخته بذلك لم تشعر بالدهشة فقالت: «**لم تكن مفاجأة بالنسبة لي على الأقل أن يعلن أخي عند عزمه على الهجرة تلك الليلة بذات...**» [2]، لأن ذلك بدا جليا على مُحياه من غير نطق ولا كلمة واحدة ولكن لم تلبث هذه الفكرة في رأسه بعد أن حَكت له أخته عن النصائح التي تلقتها من أحد معارفها الفلسطينيين والذي حثها على الصمود ونبهها على عدم مغادرة بيروت وتَركِها كطبق من ذهب للمُستعمِر، فهو صاحب الخبرة هنا والتجربة بعد أن خرج من فلسطين مع العديد من أصحابه ليكشف بعدها أنه هو الخاسر لتركه أرضه من أجل نجاته:

«**فالأرض لمن هو على استعداد للموت لأجلها ... دوما ...**» [3]، وتقول: «**ويومها كف أخي عن حديث الهجرة وإن كان قد ولد في وجهه تعبير ناء.. كأنه سافر وانتهى الأمر .. كأنه هاجر ولم يعد هنا..**» [4]. والكثير غيره من

[1] عز الدين مختار فكرون، علي مفتاح الجر: **واقع الهجرة غير الشرعية**، مجلة دراسات الاقتصاد والأعمال، مجلد 6، عدد 1، 2017، ص 132.
[2] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 59.
[3] المصدر نفسه، ص 99.
[4] المصدر نفسه، ص 59.

الذين حملوا حقائبهم وأفرغوا بيوتهم كـ**"الأنا" ناديا** التي عَقَدت العزم على الرحيل هي وأطفالها فتقول: «**ما معنى البقاء كالجرذان السجينة في جحورها؟ ولماذا يُقتَل طفلي بالصدقة لمجرد أنه وقف على الشرقة؟**» [1]؛ رَخُصت الأرواح لدى القناصين حتى الأطفال الصغار الأبرياء لم يسلموا من رصاصهم ذلك ما دفع ناديا للحقد على الوطن أجمع الذي لم يعطها سوى الحزن، فقد فقدت أعز ما تملك أحد أطفالها فلذة كبدها الذي لم يفعل شيء ضد أي أحد سوى أنه وقف على شرفة بيته ليرى العالم في الخارج، هنا تأكدت وتيقنت أنه لا حياة بعد الآن في هذا الوطن الذي أصبح فيه الإنسان محروم من أدنى حقوقه وهي البقاء على قيد الحياة. هؤلاء الذين ذكرناهم لم يجدوا إمكانية للعيش لذا قرروا الهجرة ولكن يوجد صنف ثانٍّ من الذين أرادوا الهجرة إلا أن الواقع لم يلمسهم بشيء إنهم طبقة آكلي الكافيار الذين بسبب الحرب لم يتمكنوا من السهر أو الخروج كالعادة للتسكع والتسوق كسابق عهدهم، فلم يعد الوضع محتمل بالنسبة لهم: «**لم نعد نستطيع العيش في هذا البلدة تصوري، البارحة ذهبنا إلى (الوايت واو) للسّهر وكنت أرتدي (الروبّ لونغ) والفرو والفيزون الجديد، ومع ذلك أصر صاحب المطعم على أن تنهي عشاءنا قبل الساعة 12 لأنه خائفا ... تصوري يا كوكو رجعنا للبيت الساعة 12/30 ولم نجد أي مكان آخر للسهر ..**

- **إنها "حياة كلاب" فعلاً.. يجب أن نهاجر... سنرافق جميعا المربية الفرنسية إلى باريس..الفلوس حولنا ... ماذا يربطنا بهذا البلد... وبكل أولئك المتوحشين والأغراب (السوفاج)...**» .[2]

الخوف تمكن من جميع الفئات غنيا كان أم فقيرا، فقيرهم مقيد محاط بالعراقيل حلمه أن يحيا حياة آمنة يسودها الهدوء، وغنيهم يحسب وطنه شيكا يمكن صرفه في البنوك الأوروبية فلا يهمه إلا أن يتلذذ بشهوات وملذات الحياة، لكن الحياة تبقى حياة فكل منهما يريد العيش والنجاة بنفسه، لذا اتخذوا من الهجرة ملاذا آمنا ينجيهم من عذابهم ولكن لا يعلمون أنه لا مفر وأنه من رحل عن موطنه لن يجده حينما يرجع تماما كما حدث للفسلطينيين الذين يرجون أن يتعلم اللبناني الدرس منهم قبل فوات الأوان. فتقول الكاتبة عن الغربة «**ربما كان العنف بحد ذاته وسيلة لاختراق مدارات الغربة حين يفتقر النّاس إلى العدالة والمحبة... فالحرب الأهلية تخلق المزيد من الغربة، والعنف يكسر الغربة بطريقة وحشية وعابرة... تخلف مزيدا من الغربة وتستدعي مزيدا من العنف**»[3]، وهذا ما سنراه في العنصر الموالي.

[1] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 99.
[2] المصدر نفسه، ص 67.
[3] المصدر نفسه، ص 168.

ثالثا: تناقض الأنا بين (اللاعنف) و(العنف)

التناقض، أَنْ تناقض نفسك نفَسها، قلبك عقلك، فعلك قولك، ذلك التناقض الذي يكون بين الذات والنفس. إذ أنه لا يمكن للمرء أن يوفق بين أمرين أمر إيجابي وأمر سلبي مغناطيس بقطبين مختلفين، لهل يستطيع الإنسان أن يعيش هذا الشعور دون أن يؤنبه ضميره؟ فأن يفكر الإنسان في شيء وأن يفعل شيء آخر لَمَا هو مرضٌ ويا ليته يشفى منه. ذلك التناقض الذي حدث مع الأنا الرواية خاصة، فبعد اطلاعنا على ثنايا الرواية أبصرنا تناقضاتها في كثير من الأحيان في تصرفاتها وردات فعلها، كل ذلك كان سببه الظروف التي مرت بها ولازالت تمر بها جراء ما يحدث داخل منطقتها، لم تكن سويّة مع نفسها مما انعكس ذلك على شخصيتها فأصبح تفكيرها بذلك غير مستقر وغير متناغم فتقول: «**كان ذلك يعذبني... ذلك التناقض في داخلي بين العنف واللاعنف**»[1]، فها هي تُقَوم مبادئها تحت شعار اللاعنف الذي يعتبر «**أكبر قوة تملكها الإنسانية والذي له تأثير أكبر من أكثر الأسلحة دمارا**»[2]؛ يقوم اللاعنف على الحوار السلمي والتفاهم المتبادل بين الأطراف ويعتبر سلاح الأقوياء لأنه يمكننا من الوصول إلى مرادنا من دون إراقة دماء وسفكها وهو النهج الصحيح لحل كل المشاكل بالنسبة "**الأنا الراوية**"، فهي تؤمن أن الحل ليس بالسلاح فقط بل بقلمها أيضا وكتاباتها التي غالبا ما واجهت بها مصائب الحياة وبثت بها في نفوس المقاتلين روح القتال وعززت معنوياتهم بأقوى الكلمات لكي لا تَضعف، تلك السطور التي حملت فيها صرخات من أجل التبديل تبديل الواقع المر ومسح بشاعته بمبادئ العدالة والفرح والحرية، فقد كان من الصعب جر الأنا الراوية إلى الإقرار بالعنف وسيلة لحل أي شيء فالقتل بالنسبة لها جريمة بحق الحياة ليس بحق القتيل فقط فتقول: «**مثل كل الفنانين أنا متناقضة... أريد الثورة ولا أريد الدم... أريد الطوفان ولا أريد الغرقى..**» [3]، تأكيد ثانٍّ منها على أنها متناقضة تريد الاستقلال والتحرر بدون خسائر بشرية، فطبيعة الفنان هي التي تمنعه بأن يكون مقاتلا في صفوف الجيوش، بسبب عاطفته الجياشة التي تُسيطر عليه ورِّقة قلبه اللامتناهية وتفكيره المفرط والزائد في التفاصيل، فإن حدث وحمل السلاح في وجه أحدهم أول ما سيخطر على باله: "آآه له عائلة أم وأب وحبيبة سيحزنون لموته"، فهو يفكر بخلفيته قبل أن ينظر إليه على أنه عدو له ويجب قتله، سيعجز عن تعذيبه سيتخيل كيف قد يبدو وجهه وهو يضحك، الفنان شخص إنساني إذا قتل نملة أحس أنها مجزرة كونية.

[1] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص ص 23-24.

[2] محمد الهلالي، عزيز لزرق: **العنف دفاتر فلسفية نصوص مختارة** ، دار توقبال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2009، ص 72.

[3] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 41.

«**ليست مقاتلة (حتى إشعار آخر)**» [1]، ها هي فكرة العنف بدأت تدب وتتغلغل داخل عقلها، وفكرة اللاعنف بدأت تنحل فيها تدريجيا بمرور الأيام وازدياد قسوتها عليها يوما بعد يوم ولما شاهدته من موت أمام عينيها، ما شاهدته من جثث وأجساد مكومة في الشوارع وأطراف الأجساد مقطوعة ومتناثرة في قوارع الطريق تحت بِركٍ من الدماء، كيف لا تتغير نظرتها وقد شاهدت المدينة تتحول من جنّة إلى جحيم لذا قالت: «**وأيّا كانت قناعاتي ... فإن التبديلات الجذرية في تاريخ الكرة الأرضية لم تتم إلا عبر العنف..**» [2]، إنها تعاني رغم أنها مؤمنة بأن اللاعنف هو الحل الأنسب، لكن في الوقت نفسه تعلم يقينا بأن اللاعنف لا يغير من الواقع شيء، فالعنف: «**كل ما تعلق الأمر باستخدام غير مشروعٍ، أو على الأقل غير قانوني، للقوة**»[3]، ضَغَطها الغير وتركها تلجأ إلى التفكير لاستعمال القوة، لأنها تيقنت بأنه الوسيلة الوحيدة للتنفيس عن جور الواقع وظلمه والدفاع في الوقت نفسه عن نفسها، فتقول:« **المروع أن تعيش في زمن الحرب الأهلية وأنت محروم من العنف والحنان في آن واحد وأنا محرومة من كليهما** ...» [4]، العنف هو الطريقة الوحيدة التي يستطيع الأنا اللبناني أن يفرغ بها عدوانيته التي شحنت بسبب السجن المروع البائس، وهنا تأكد مرة أخرى على حتمية اللجوء إلى العنف «**أمسكت بالرصاصة ووضعتها إلى جانب قلمي. (ضع الرصاصة إلى جانب القلم تجد القلم أكبر حجما) .. ولكن هذه الرصاصة بذات بدت لي للوهلة الأولى معادلة لطول قلمي .. ثمّ كبرت فصارت عمودا من نار، في حين ارتجف قلمي أمامها ونحل، فصار مثل ريشة طائر مجروح ... لا حيلة لها أمام عاصفة النّار**»[5]. من أجل الحياة، الإنسان يفعل كل شيء حتى باستطاعته التكيف مع صوت الرصاص وصوت الموت وحتى حمل السلاح الذي يعد بمثابة العدو الأول للحياة ولأرواح الذوات، من لم يكن يفكر في حمل السلاح أصبح يفكر بذلك وعَدَل عن تفكيره الأولي، فقد فرضت عليهم الحرب فعل ذلك لأن السلاح أصبح يساوي الحياة وعدم حمله أصبح يساوي الموت الحتمي، ففي هذا المقطع تصور لنا حتمية حمل السلاح «**قررنا محاكمتك بتهمة تحريض شقيقك على ارتكاب جريمة "المشيء أعزل" على رصيف الشارع كما لو أن الارصفة خلقت لتجول المشاة العزل بدلاً من بقائهم في الملاجئ وداخل البيوت.**» [6]، فأصبح عدم حمل السلاح هو الجريمة الكبرى..، وها هي تخطو الخطوة الأولى لحمل السلاح في أول فرصة أتيحت لها فقد رأت السلاح ملقى على الأرض

[1] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 102.
[2] المصدر نفسه، ص 23.
[3] محمد الهلالي، عزيز لزرق: **دفاتر فلفسية نصوص مختارة**، ص 9.
[4] ص 168.
[5] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 50.
[6] المصدر نفسه، ص 203.

أسفل بنايتها، الذي كان قد أوقعه بعض الغرباء أثناء هربهم. فراحت بلهفة تحاول الحصول عليه من أجل الدفاع عن حياتها به، لدرجة أنها أدلت حبلا مربوط فيه مغناطيس لكي تتمكن من حيازته واستعماله في وقت الحاجة فتقول: «**ربطت المغناطيس بالخيط ورميت به من النافذة قرب المسدس. كان علي أن أحاول عدة مرّات ففعلت حتى استطعت أن أصيب هدفي... إلا أن المسدس انفصل عن المغناطيس وسقط حين بدأت بشد الحبل لرفعه عن الأرض**» [1]، حتى أن محاولاتها الأولى لحيازته فشلت ولكن بعد أن شب حريق في بيتها استطاعت الخروج من البناية وسنحت لها الفرصة لالتقاطه.. .

ثم أتت الحاجة لتستعمل الأنا الراوية العنف واستعمال المسدس في ليلة كان الظلام حالكا فقد استيقظت على وقع أصوات حسبتها سارق يريد أن ينهبها أو قاتل يريد أخذ روحها، فما أن طردت النوم من عينيها إلا وسبقت حركة يدها بحمل السلاح تفكيرها وأطلقت الرصاصة لا إراديا، هذا كله بسبب خوفها الذي زاد على نفسيتها، غير مبالية بمن كان أو أيا كان إذا اقتحمها بدون سابق إنذار، وها هي تجد نفسها تصارع من أجل البقاء على قيد الحياة، شيء لم تكن تتوقع يوما نفسها أن تفعله،وهو حمل السلاح والقتل، فرغم روع هذا الأمر إلا أنها أصبحت قادرة عليه وعلى فعله فتقول: «**كانت هناك حقيقة مروعة ارتسمت أمام عيني، وهي أنني قادرة على القتل**» [2]، سواء كان هذا بقصد أو بغير قصد فهو يؤدي إلى نفس النتيجة ألا وهي القتل، حتى "**الأنا**" (**شادي**) كان في ما مضى ضد حمل السلاح، كل ما يهمه هو أن يعيش في سلام ويموت في سلام، لا يريد أن يكافح لا يريد أن يقتل لأن العنف هو عدوه الأول، ولكن بعد أن دخل السجن وذاق مرارته رأى حقيقة وبشاعة ما يعانيه شعبه بدون حمل سلاح، وهذا ما صوره في قوله: «**لم أكن أدري أي بؤس يعيشه هذا الشعب إلا حين سمعت حكايا رفاقي السجناء في "القاووش". الأمر مرعب حقا ... كنت فيما مضى اشمئز من السلاح، واليوم اشمئز ممن لا يفكر بحمل السلاح..**» .[3]

إذن تناقض "**الأنا الرواية**" بين اللاعنف والعنف أدخلها في متاهة ودوامة تأنيب الذات لكن في آخر الأمر وبعد أن استعملت العنف والسلاح دفاعا عن نفسها، انزاح الضباب عن عينيها، فاختارت اللاعنف طريقا لها، لأن استعمال السلاح لا يمكن أن يحل المشكلة بل يزيد من تعقيدها فقط، وهذا ما يعرضه لنا المقطع الآتي: «**إنني أيا كانت الظروف أظل مصرة على أن " مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا**

[1] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 269.
[2] المصدر نفسه، ص 317.
[3] المصدر نفسه، ص 286.

أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا" –كتاب القرآن– سورة المائدة» [1]، لذا وجب البحث عن وسائل أخرى للبقاء على قيد الحياة، وهذا ما زاد من حقدها على أولئك الذين يجعلون من الحرب السبيل الوحيد المتبقي لإحلال السلام واستعادة الحرية.

رابعا: هوية الأنا بين (اللاانتماء) و(الانتماء):

من القضايا الأساسية المحورية التي شغلت جَمْعَ البشر قضية الهوية والانتماء، الحاملتان للعديد من الدلالات المختلفة، فارتأينا الكثير من الأشخاص يَخلطون بين المصطلحين، ولكي لا يحدث ذلك ويكون هناك التباس يجب أولا تحديد مفهوم واضح لكليهما، فالهوية هي «**مجموعة من الخصائص التاريخية واللغوية والنفسية التي تفصل بين جماعة وأخرى؛ الأمر الذي يجعلها تخرج من إطار الثبات، فهي نتاج حركة متعاقبة لجملة من الشروط التي تفرض على كل مرحلة مجموعة التحولات النوعية والمجتمعات البشرية، وتؤدي إلى حدوث نوع من عدم التوازن والاستقرار بين القديم الموروث والجديد الذي يسعى لتعيين وجوده**» [2]؛ إنها اللقب الأساسي للأمم وبه تعرف عن غيرها وتُميز الفرد عن الفرد الآخر، ومجتمع عن مجتمع آخر، فهي متغيرة لا تتسم بطابع الثبات وكل مجتمع يحاول بدوره التفرد بهويةٍ خاصة حتى عن هويته القديمة بتجديدها وتطويرها.

أما الانتماء فهو «**النزعة التي تدفع الفرد إلى الدخول في إطار اجتماعي فكري معين بما يقتضيه من التزام بمعايير هذا الإطار وقواعده ونصرته والدفاع عنه، وفي مقابل غيره من الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى**» [3]؛ فأن ينتسب الفرد إلى بلد معين له دينه وتقاليده وأعرافه وإذا تمسك بما تم ذكره فهو بذلك يثبت انتماءه واعتزازه بذلك؛ هذا أوجب عليه العمل والتطوير من أجل الالتحاق بالهويات الأخرى التي تتسابق في سلم التميّز والانفراد ومواكبتها لإثبات هويته، «**فمن خلال وعي الهوية لابد من وعي الانتماء؛ بالهوية**» [4]، وبإسقاط هذه المفاهيم على روايتنا نجد أنه سبب الحرب الأهلية التي تعيشها الأنا هناك من تمسك بهويته وهناك من تخلى عنها وكان في صف المحايدين؛ الذين انحازوا إلى طرف (أريد العيش فقط والنجاة)، بسبب خوفهم من مغادرة الحياة وفراقها، متحملين بموقف اللانتماء هذا الذّل والإهانة، كتلك العائلة الثرية التي أعلنت حيادها، فأمر ربُّ هذه الأسرة أولاده بارتداء قميص مضاد الرصاص، قميص معدني غطى جميع جسدهم من الأعلى إلى الأسفل ومنعهم من متابعة أحداث البلاد أو اتخاذ أي موقف والبقاء في دكة المحايدين، وكل ذلك لخوفه الكبير من كلا الطرفين المتنازعين؛ فابنته الوحيدة المدللة كانت تأمل أن تنتهي الحرب

[1] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 188.

[2] عهد كمال شلحين: **الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع**، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، د.ط، 2015م، ص 7.

[3] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 35.

[4] المرجع نفسه، ص 30.

لكي تتمكن من التخلص من ذلك، ولكن في ليلة زفافها اكتشفت عجزها عن خلعه ولم تستطع أن تفسر للزوج أن الحياد أمر صعب كغيره من الأمور الأخرى التي تحدث في الحرب الأهلية، إلا أنه قتلها دون تفكير منه فرسم المقطع الآتي نهايتها البشعة ويمكن القول أنه نهاية كل من اتخذ الحياد موقفا له: «**رغم القميص المضاد للرصاص قتلني برصاصة واحدة ... في جبيني .. دونما أي ذنب ... قال لها المستنطق: جريمتك هي اللاانتماء .. والتوهم بأنك باللاانتماء تعفين نفسك من مسؤولية المشاركة فيما يدور**

سألته مقاطعة: ما معنى "اللاانتماء"... وما معنى "الانتماء"..» [1]، فكان عليهم منذ البداية ألا يكتفوا بالحياد فقط، بل بالمواجهة والمجابهة والمحاربة، سواء بطريقة مباشرة (بالسلاح) أو بطريقة غير مباشرة برفع (القلم) والبقاء داخل الوطن الأم وعدم الهجرة والاغتراب عن وطنهم، حيادهم هذا يعتبر أبشع جريمة يمكن حدوثها إنه خيانة للوطن قبل الفرد، فكيف لا يدافعون عن الأرض التي احتضنتهم وأطعمتهم من خيراتها وعاشوا في كنفها! فتقول: «**حين دار حوار الرصاص وجدنا أنفسنا خارج اللعبة، وضحايا لها في آن واحد. (نحن المجرم الأول الحقيقي لأننا سمحنا لذلك كله بأن يحدث تحت ستار الحياد!)**»[2]. فالإنسان لا يمكن أن يَقِف موقف الحياة لأنه إذا فعل ذلك فهو يقول بصريح العبارة أنه لا يهمه أمر بلده وما يدور فيه وغير مبال بما يحدث خاصة الأنا اللبناني، فلا حياد في القضايا التي تخص مصير المجتمع، فلا حياد بين أمور الخير والشر فهما كالخطان المتوازيان لا يلتقيان فكل واحد منهما بَيّنٌ عن الآخر، فهذا السكوت واللامبالاة هو تشجيع وحثٌ على استمرار الظلم والمزيد من ارتكاب الجرائم في حق الإنسانية، هذا بخصوص المنحازين والمتخلين عن قضاياهم السامية، أما أولئك الذين تمسكوا بانتمائهم فهم كثيرين وكانوا السبب في صمود لبنان، وأهلها فنجد "**الأنا**" (**مارون**) و"**الأنا**" (**هنريت**) من الذين سكن الخوف قلوبهم لدرجة أنهما زورا هويتهما لكي يستطيعا ويتمكنا من المرور بالحواجز الموضوعة في كل ركن من الوطن «**حواجز للقتل على (الهوية)** ...» [3]. ثم حدثت المواجهة بين الهوية المزيفة والحواجز، فوقف أمامهم المسلح فأمرهما بإخراج الهوية فقرأها المسلح بصوت عال وهو: «**يحدق جيدا في الاسم. يحدق جيد في الوجه ... وفي مذهبك: مارون. مسيحي.**

يقول لك شبه معتذر: مع السلامة. ورفاقه مشغولون بإطلاق النار على رجل تصادف أن اسمه محمد»[4]، ظل مارون خائفا على عكس زوجته من أن يكتشفو أنه ليس مارون وهي ليست هنريت، وأن تلك الهوية المزورة لا ترسم

[1] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 314-315.
[2] المصدر نفسه، ص 99.
[3] المصدر نفسه، ص 295.
[4] المصدر نفسه، ص 298.

الحقيقة؛ حقيقتهما من الداخل فكل ما يهم ألا يكون مكتوب في خانة المذهب (إسلام) وإلا كان سيكون العقاب عظيما وما دون ذلك جائز. إنهما من اللبنانيين الذين لم يتخلوا عن هويتهم وإنتمائهم ولكنهما أجبرا بسبب ظروف الحرب الأهلية على أن يفعلا الفِعلة هذه، لأنه لابد لهما أن يظلا على قيد الحياة كي يحاربا ويناضلا لأجل امتلاك وطن، مثلهما مثل ذلك المواطن البريء المتدين والمتمسك بخالقه، والذي جره أحد المسلحيّن إلى الشارع ككبش الفداء لاشتباهه أنه الشخص الذي قتل أخوه، فقرر المسلح أن يسلخه كي يأخذ بثأره وحق دم أخيه. المواطن البريء خائف من الموت لدرجة الموت ولكنّه حتى آخر رمق فيه ظل متمسكا بهويته وانتمائه «**قال لهم: لا أحب أن أموت. سأله أحدهم: إلى أي حزب تنتمي؟ قال أنتمي إلى "حزب الحياة". سألوه: ما اسمك؟ قال: لبنان. أسرتك؟ العربي. صرخوا به: هذا ليس وقت المزاح. من أنت؟ كرر:**

(اسمي "لبنان العربي" ولا أريد أن أموت)» [1]؛ وفي آخر المطاف قُتل، وهذا جزاء كل من صَرَّح بتمسكه بهويته وهو ضعيف لا يمكنه أن يقاتل.

"الأنا الراوية" تصرح بعبارة واضحة وتقول: «**إنني كفنانة ولاؤها للحقيقة، لا أملك إلا أن أقف ضد "الظلم سواء مارسه الفريق الذي أنتمي، إليه أو الفريق الذي أقف ضده**»[2]، الحقيقة التي تتكلم عنها هنا هي حقيقة العدالة والحرية والمساواة أي الاستقلال بالأحرى، وهي من الذين شاركوا في الحرب بطريقتهم تلك الطريقة غير المباشرة فتقول: «**لم أكن على الحياد. إنني منحازة لطرف آخر. إنني منحازة للشمس والعدالة والحرية ... وقد قضيت عمري أخدم هذه القضايا بالسلاح الوحيد الذي أتقن استعماله... قلماً جيدا خير من رصاصة طائشة**»[3]، ولعل من أهم الأمور التي أكدت هوية **"الأنا الراوية"** ومحاولتهما إثبات انتمائها، تمسكها بمخطوطاتها التي كتبتها وصورت فيها واقع لبنان وما يدور فيه من حروب أهلية، الواقع المشحون بالألم والحزن والحرمان، ولكنّ في لحظة هروبها من بيتها المحترق بعد أن وجدت طريقة للهرب من تلك البقعة المشؤومة ضاع منها كنزها الثمين الذي هو بمثابة سبيل، يمكن أن يكون سببا في تحقيق الهدف والغاية الأساسية التي يطمح لها كل لبناني «**يجب أن أستعيد الحقيبة بأي ثمن. تلك السطور التي كتبتها في دهاليز الرعب على ضوء الشموع وأنقضتها وحدها من النار لن أسمح لها بأن تضيع. هي وحدها ما**

[1] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 27.
[2] المصدر نفسه، ص 187.
[3] المصدر نفسه، ص 42.

يهمني أمره حقا... أما أشياؤه: أشياء يوسف فإنها لم تعد تهمني كثيرا أحسها مجرد كومٌ من رماد ..» [1]؛ إذ لا وجود للحب في زمن الحرب... تلك السطور التي تستطيع أن تشعل شرارة القضية وتلهبها.

فالراوية من الكتاب الملتزمين بقضاياهم الوطنية والقومية على حد سواء محاولة بها إيقاظ ضمير المسؤولين، ضمير الشعب وكل من له صلة، ساعيّة لإعطاء صورة واقعية تنصهر فيها الصورة المزيفة التي رسمت على لبنان —جنّة الأرض– في بوتقة الحقيقة فتقول: «**وفي مثل هذه اللحظات تذوب الحدود بين قارة الحلم القضية وقارة الواقع السوداء ...** »[2]، فقد عرضت نفسها لخطر الموت من أجل استعادة فقيدها لدرجة أنها انتقلت من مصفحة حربية إلى أخرى، مرتدية إيّزار الإصرار والعزيمة لاسترجاعها لدرجة أن أحد الجنود وجه مسدسا صوب رأسها لكي تتوقف من تهورها وتعريض نفسها للخطر من أجل وريقات «**من غير المعقول بالنسبة إليهم أن تعرض امرأة حياتها للخطر بعد انقاضها بنصف ساعة لمجرد أنها أضاعت بعض الأوراق. بالنسبة إليهم، الورق الوحيد الذي يستحق عناء التضحية هو الورق الملون الذي تطبعه الدولة ويسمى "النقود»**[3]؛ لكنهم نسوا أن الإصرار والإرادة توصلك إلى الهدف والغاية المنشودة عاجلا غير آجلا وأن ألم هذا العناء سيتوج بالمراد يومًا ما، لتظفر بالأخير بالحقيبة البرتقالية المفقودة واستعادة ما فيها، ففي هذه الظروف كان هناك من تمسك بهويته وهناك من تخلى عنها. فالذين تخلوا عن تقاليدهم وأعرافهم، كانوا هم المجرمين الأوائل قبل القاتلين، أما أصحاب وعي الانتماء كانوا يُرون كالبدر في الليّلة الظلماء. آملين أن هناك غدٌ سيأتي وستشرق معه شمس الحرية.

خامسا: الأنا بين الأسر والحرية

«**الرصاصة التي انطلقت من مكان ما ... كانت تعني ببساطة أننا سجناء. إن الهرب من ساحة الحرب أضحى مستحيلا ...**» [4]؛ هي عبارة كثيرا ما تكررت على لسان **"الأنا الراوية"** تبعث فيها برسالة واضحة مفادها أن الشعب اللبناني سجين الحرب والألم، لا يملك حق الاعتراض والقبول جعله هذا السجن يذوق أقصى أنواع الأحاسيس ومُرَها، خنقته لدرجة أن البعض فَقَدَ هويته وتخلى عن انتمائه؛ شَخَصت لنا الروائية ما يعيشه (**اللبناني**) في تشبيه واحد بليغ

[1] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 325.
[2] المصدر نفسه، ص 320.
[3] المصدر نفسه، ص 324.
[4] المصدر نفسه، ص 12.

يكفي ويغني عن غيره من التشابيه، وهو أن هذا الشعب كغيره من الحيوانات الأليفة القابعة فيما يعرف دكان بائع الحيوانات الأليفة وما تعيشه هي تحديدا في قولها: « **أنا سجينة كبقية سجناء بائع الحيوانات الأليفة**».[1]

في خضم هذه النيران الملتهبة أصبحت **"الأنا الراوية"** كثيرا ما تسمع أصوات تلك الحيوانات الأليفة المحتجزة والمقابلة لبنايتها؛ ما عهدناه عن الأنا الراوية كثرة الأوهام والخيالات التي تجتاحها ولكن هنا صرحت وقالت: «**لا ... لست واهمة ... الصوت الذي أسمعه الشبيه باستغاثة جماعية قادم من دكان بائع الحيوانات الأليفة المجاورة.**

إنها لم تجع بعد ... لكنها خائفة ككل أهل هذا الحي السجناء. كل أسرة في قفصها .. كل أسرة لا ترى أين هو المسؤول الحقيقي عنها.. وماذا يفعل.. هل يرى الحرائق؟ هل يسمع صوتها؟ هل وهل وهل؟ ... البيوت أقفاص»[2]. لا فرق بين الغابة وذلك الدكان في ظل هذه الظروف، دكان ذو واجهة براقة تَلفت الناظر وتجذب الزبائن نظيفٌ ومرتب عند الدخول له، تُبهرك الأقفاص الملونة والحيوانات المتنوعة، هذا ببغاء إفريقي وآخر قط سيامي وبومة ذو عيون كبيرة ... تماما كواجهة لبنان المشهورة لبنان الجنة التي سبق القول أن سلامها يعتبر سلاما قذرا تماما مثل السلام الذي تعيشه تلك الحيوانات، فإذا عَبرنا رِواقا واحدا فاصلا بين تلك الواجهة الجميلة ومخزن الدكان لشاهدنا منظرا تقشعر له الأبدان وتدمع له الأعين «**كانت الأقفاص المختلفة الأحجام والأشكال مرصوصة ومتلاصقة كما في مقابر الفقراء ... الشمس لا تَطَالها ولا الرياح ولا الندى ولا السماء الزرقاء.. وداخل الأقفاص كانت هناك مجموعة كائنات حية تشبه البشر في تنوعها... كانت متعبة فلا القطط تموء تماما ولا الكلاب تعوي جيدا ولا العصافير تغني...**» [3]، إن الطيور التي تولد في القفص تعتقد أن الحرية جريمة فتبقى دائما مذعورة من الرصاص راضية بسجنها مُسلِّمة أمرها إلى الأقدار وإلى سيدها صاحب الدكان حالها كحال أهل الحي الذين سلم أمره لسيدهم العدو، على الرغم من أن **"الأنا الراوية"** حاولت مرارا تحرير هذه الحيوانات لكنها أبت الخروج من معتقلها مخاطبة إياهم «.. **يا شعبي الكريم... قررنا منحكم أثمن ما في الوجود... الحرية ...**

وكأن صوتي يقلقهم أكثر مما يرعبني وامتلأت ألما لحال تلك المخلوقات السجينة البائسة (أم كنت أرى وجهي في مرآه؟ أم كنت أرى حينا بأكمله؟ مدينتنا؟)... وقررت: سوف أطلق صراحها...سوف أمنحها الحرية والفرح وغدا حين يأتي صاحب الدكان الذي يعتاش من بيعها لن يجدها.. سأحررها من البؤس الذي تحياه»[4]، ولكن هذه

[1] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 20.
[2] المصدر نفسه، ص 17.
[3] المصدر نفسه، ص 14.
[4] المصدر نفسه، ص 85.

الحيوانات لن ترضى بذلك فهي تظن أن خروجها الطريق الأخير وموتها حتمي بعد ذلك، لن تثق بهذه التراهات التي تتفوه بها كأن الحرية غول قابعٌ بانتظارها ليأكلها، لقد نست كل شيء عن الطبيعة والسماء والركض والتحليق، نسيت حقوقها خِلقتها التي جُبِلت عليها واكتفت بنصيب البقاء حية فقط، كان صاحب الدكان آسرا لها يطعمها دون إشباع كي لا تستعيد قوتها وتهاجمه وتتخلص منه، هو يقوم بذلك فقط من أجل الاتجّار بها لا غير، من أجل كسب الأموال من ورائها لجنّي الربح الوفير.

لم تتوقف **"الأنا الراوية"** من محاولتها الأولى لإخراجهم من ذلك السجن فعلى الرغم من حصارها بسبب القناص إلا أنها كانت تزود نفسها بالشجاعة وتذهب إليهم إنها تراهم أنهم شعبها الذي يجب تحريره وتلك مسؤوليتها، فقد فكرت في أدق التفاصيل الصغيرة أي حيوان ستخرجه أولا (كلبٌ قطٌ أم فأر)، لكن بعد الكثير من الأحداث التي جرت معها بسبب القناص وبسبب رغبتها الكبيرة في الهرب قررت أن تتوقف عن زيارتهم فتركت الأبواب شبه مفتوحة والأقفاص كذلك عساهم يتمردون على واقعهم أو تتحرك فيهم الغريزة الحيوانية للبقاء على قيد الحياة في حرية تامة دون أن يتحكم فيهم شخص آخر، ثم في لحظة شفقة منها عليهم عزفت عن قرارها فتقول: «**وكان عواء الجوع القادم من دكان بائع الحيوانات الأليفة يهز الأشجار والتراب ...**

وقَررت أن ألتقي نظرة، قبل أن أصير هدفا مثاليا للقناصين »[1]؛ لتتفاجئ بمنظر درامي ملئ بالدماء لم تكن تتوقعه يوما؛ تلك الكائنات تنهش مروضها بوحشية «**وفجأة، انقض عليه الكلاب المطلق سراحهم. سقط المصباح من يده وتدرحج ولم ينطفئ، وكنت أستطيع أن أرى المشهد المروع بوضوح ... لقد انقض الكلاب الخمسة عليه يمزقونه .. حتى الجريح منهم شارك في حفلة النهش...**» [2]؛ فكان مصيره الموت تحت أنيابهم. وفي هذا المِشهد استوعبت **"الأنا الراوية"** سَبب عدم هرب الحيوانات فَهُم أرادوا أن يأخذوا بالثأر من ذلك المتوحش، وهنا أيقنت الراوية بأن شمس الحرية سَتسطع عن قريب وأن الحرية تُأخذ ولا تعطى فيقول:

[1] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 265.

[2] المصدر نفسه، ص 266.

"فريدبريك نيتشه"*: «لا وجود للعظمة إلا في الحرية التي يبني بها الإنسان لنفسه في –صراع وقلق– مصيرا جديرا به».[3]

الحرية كما يقول **"ألبرت كاموا"**** أنها: حالة من التمرد ومحاولة للعصيان من قبل أشخاص يعانون من القهر والكبت والتقييد عن كينونتهم وحنينهم للبراءة الإنسانية[4]، وهذا ما انطبق على (الأنا) في محاولتها التمرد على الواقع ومطالبتها بالحرية وإنقاذها أيا كانت المخاطر فهي تنتظر المصفحة الحربية لتأتي وتنقذها، كانت تنتظرها بفارق الصبر وبأمل كبير: «**سأظل أنتظر شروق الشمس ثم شروق المصفحة**»[5]؛ هي لا تستطيع الأخذ بالثأر كتلك الحيوانات الأليفة لكنها تعلم يقينا أن الثأر الحقيقي من العدو هو البقاء على قيد الحياة وعدم الموت برصاصته. وبعد خيط أملها الذي لم ينقطع رغم المعاناة والأسى والكوابيس التي كانت تعيشها حلّ بها الفرج أخيرا «**وكانت هناك... المصفحة... وغادرني كل حسّ بالحذر... وصرت أركض خلفها كما لو كانت القطار الأخير الخارج من مدينة الموت... كم هو غريب شكل العالم حين تحدق فيه من فوهة مصفحة... كم هو مختلف**»[1]، ونستشف من ذلك أن الحرية وإن طالت مغالقها ستفتح يوما ما على الشعب اللبناني وبيروت تحديدا، وأن قدوم المصفحة وإخراج **"الأنا الراوية"** أكبر دليل على ذلك.

كان تجليّ **الأنا** في المتن الروائي متراوحا: في أفعالها ومشاعرها وأقوالها وفيما تعيشه، على شكل ثنائيات متضادة ومتناقضة؛ الأنا بين الكابوس والواقع، الأنا بين غربة الوطن والهجرة، الأنا بين اللاعنف والعنف، بين اللاانتماء والانتماء، وأخيرا وليس آخرا بين الأسر والحرية..، إن هذا التسلسل من أوله لآخره علامة على أن الحرب الأهلية إنّ حَلت بقومٍ

---

* **فريدريك نيتشه (1844–1900م)**: فيلسوف ألماني، قوبل بتجاهل شبه تام خلال فترة حياته التي كان فيها سليم العقل، والتي انتهت نهاية مفاجئة ومبكرة بالجنون عام 1889، كان نيتشه شخصية سعى أناس ذوو آراء متنوعة ومتعارضة على نحو مذهل إلى أن يجدوا في اسمها تبريرا لأفكارهم وذكرت العديد من الدراسات الممتازة وخصت لتناول تأثيره داخل ألمانيا بين عامي 1990، ومن أبرز أعماله: "مولد المأساة"، "تأملات في غير أوانها". ينظر: مايكل تانز: **نيتشه مقدمة قصيرة جدا**، تر: مروة عبد السلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2015م، ص9-11.

[3] ماهر مسعود: **الحرية**، بيت المواطن، دمشق، الجمهورية العربية السورية، ط1، 2015، ص 7.

** **ألبرت كامو(1913–1960م)**: فيلسوف عبثي وكاتب مسرحي وروائي فرنسي. ولد في قرية الذرعان بمدينة الطارف في أقصى شرق الجزائر بالجزائر، من أب فرنسي وأم إسبانية، تعلم بجامعة الجزائر وتخرج من قسم الفلسفة بكلية الآداب، سافر إلى فرنسا وأقام فيها وأصبح مواطن فرنسي، عضو في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، حاز على جائزة نوبل في الأدب (1957)، من أبر أعماله:"رواية الغريب"، "الإنسان المتمرد"، "مسرحية سوء تفاهم"، "مقالة أسطورة سيزيف". ينظر: ويكيبيديا: موسوعة حرة، https://ar.m-wikipedia.org. ، 15 أفريل 2023، 13:00.

[4] ينظر: عزيز العرباوي، **مفهوم الحرية في الإسلام وفي الفكر الغربي**: رؤية بانورامية، مجلة مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 26 مايو 2016، ص 5.

[5] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 289.

[1] المصدر نفسه، ص 321.

غيرت الكثير فيهم من معتقدات وأفكار، وإذا وعى هذا القوم على حقيقة ما يدور حمل لِواء الثورة سواءً بالسلاح أم بالقلم، فقد بدأت هذه الحرب الأهلية في الرواية بكابوس وانتهت بفرج.

المبحث الثاني: تجليات الآخر في رواية كوابيس بيروت

بعد أن كنا قد استظهرنا أهم الأنوات الفاعلة داخل متن الروائي، الآن حان دور إبراز أهم هيئات والصور التي تجسد فيها الآخر:

أولا: الآخر العدو

الحرب اللبنانية معقدة كغيرها من الحروب الأخرى ولكن ما ميزها عن سابقاتها هو تعدد الطوائف (الأديان) وتداخلها في بعضها البعض مما جعل كلمة الآخر لا تقتصر على عدوٍّ واحد بل العديد من الأعداد «**فهناك العدو السياسي والعدو الكوني، فالعدو السياسي هو المتمرد الذي يعصي النظام القائم والكوني مثل الثعبان الذي يهدد التوازن الكوني**»[1]؛ فغالب الصراعات في الحقيقة تُخلق من اختلاف الأديان. فكل دين يَعتبر الذي يُخالفه الدين هو الآخر وبالذّات الآخر العدوّ فهو دائما ما يشكل الخطر الأول والأخير، فكل ديانة رافضة للأخرى، فكل هذا خلق مشاكل تفاقمت وتضخمت فأصبحت عبارة عن مشاكل سياسية ودولية، وبالمعنى الأدق الدين هو المتحكم والمسيطر في جميع العلاقات والأوضاع السائدة، وفي رواية "**كوابيس بيروت**" كان هناك سبب إضافي لاشتداد الصراع إلى جانب تعدد الطوائف ألا وهو الطبقية الطاغية على المجتمع اللبناني، واحتكار الحياة الهنيّة من فئة محددة على حساب فئة أخرى، تلك الفئة التي تطمح لانتزاع اللقمة من فم الأخرى حتى تشعر بالتُخمة، ولكي تتمكن من سدّ الفراغ والخَواء الذي يعتريها و«**ذلك هو ما دفع بالناس للتكالب على السلطة والمال**»[2]، وذكرت الراوية "**غادة السمان**" بصريح العبارة في روايتها أن الدين والطبقية؛ السبب الأولي في اندلاع هذه الحرب الأهلية التي لم يسلم منها لا كبير ولا صغير، هي التي مهدت الطريق للمستعمر الأجنبي لأن يحتلها بكل سهولة، وقد صُور ذلك في القول الآتي:«**يلعبون كرة السلة ... والكرة قنبلة يدوية.**

الملعب مغطى بالوحل، أحد الفريقين تبدو على ثيابه الممزقة رِقة الحال، يركض أفراده بأقداهم المحرومة من الأحذية.

الفريق الآخر يرتدي ثياب التزلج المترفة الدافئة التي تُعيق حركتهم في الوقت ذاته انفجرت القنبلة...

[1] هدى عبد الله قنديل: **مفهوم العدو في الفكر الديني**، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، مصر، ع: 67، أكتوبر 2006م، ص 67.

[2] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 245.

انفجرت القنبلة... قتل الجمهور الحكم، وقرروا أن شروط اللعبة خاطئة ومن الضروري تبديلها... ولكن الذين ماتوا، كانوا قدماتوا! ..

نقلت بعض جثث اللاعبين إلى قبور رخامية، بعضها الآخر إلى قبور طينية. بعضها دفن وفقا للطقوس الدينية المسلمة والمسيحية، وبعضها رموه على قارعة الطريق لأنه فقير ووحيد، .. ووقع شجار كبير حول طقوس الدفن وشعائره، وحول حدود المقابر وإقطاعياتها ذهب ضحيته مزيد من القتلى»[1]؛ قولٌ لُخِص فيه كل ما يدور داخل الأراضي اللبنانية وأسباب الحرب الأهلية فيها من اختلاف أديان وطبقية (غني وفقير). والهيئات التي ظهر فيها **الآخر العدو** في المتن الروائي كانت كالآتي:

1- القناص:

القناص هو ذلك الشخص المتمرس على القتل، والذي لديه القدرة العالية في إصابة هدفه ساكنا كان أم متحركا فهو أول هيئة تَجَسد فيها العدو وصُور ذلك في القول الآتي: «**وفجأة انطلقت الرصاصة.**

لا أدري هل سمعنا صوتها أولاً أم شاهدنا السلة تهوي في الفراغ مثل رجل سقط من الشرفة... لقد عرض مهارته أمام أهل الحي جميعا. لقد قال لنا جميعا: إني قادر على إصابته أي هدف مهما كان دقيقا ونحيلا. قلوبكم كلها تحت مرماي. شرايينكم كلها أستطيع أن اثقبها شريانًا شرياناً. استطيع أن أصوب داخل بؤبؤ عيونكم دون خطأ»[2]. كان القناص الخطر الأول على كل أهل المنطقة كان سبب في تركهم للجوع والعطش كانت حريتهم بيده كانوا تحت القيد بسببه، إنّ توالي الأيام والأسابيع والأشهر على القناصين وهو في نفس المكان والوضعية، وضعية الصيد زاد من إدمانهم على حصد الأرواح (صغيرا، كبيرا، بريئا، مجرما من فريقه أم من الفريق الآخر)، همه الأول والأخير هو حصد أكبر عدد ممكن من الأرواح فهو يتسلى ويتلذذ بذلك، لا يعرف متى وكيف ولماذا هو يقوم بذلك وهذا ما زاد الوضع تفاقما لما هو عليه وزاد من حدة الأزمة؛ أزمة الحرب، فهذا ما صوره لنا حوار الموتى عندما دخل واحد جديدٌ عالمهم فَقَرعُوا قبره: «**سألوه: من أنت؟**

[1] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 209.

[2] المصدر نفسه، ص 11.

قال: أنا موظف قضى عمره يخدم الناس.. قتلتني رصاصة قناص. أُطلق علي الرصاص لمجرد أنني أحيا..» [1].

هذا ما كان يفعله القناصون يظنون أنهم بحمل السلاح وقتل من هَبّ ودَبّ سيربحون ولكنهم لا يعلمون أنهم بفعلتهم هذه يمنحون الحياة والسلام لكل قتيلٍ بدمٍ لبناني، فيخلصونهم من مُرّ ما يُعايشونه في تلك البيئة.

2- الإسرائيلي (اليهودي):

ارتبطت كلمة اليهودي في غالب الأحيان بمصطلح الصهيونية، توسعت هذه الحركة الصهيونية في أرجاء الوطن العربي من أجل الاستيلاء على الخيرات العربية بوسائل تدميرية بحتة، لدرجة أن اسم إسرائيل ارتبط ارتباطا وثيقًا بالحرب؛ فأينما حل هذا الكيان خلف من ورائه خسائر مادية وبشرية جمّة. فبعد توغل هذه الحركة وتوسعها وصلت للأراضي اللبنانية ومركزت قواعدها هناك، وهذا ما رُسم في المقطع عندما قَدِّم السائح الأمريكي وراح يتجول من منطقة إلى أخرى مع دليله فقال السائح للدليل: «**هل هذه استراحات سياحية؟ ... رد الدليل الطائر وهو (يخرطش) سلاحه: بل هذه مغافر إسرائيلية متقدمة داخل الأراضي اللبنانية... إنهم يأكلون الوطن قضمة بعد الأخرى، والوطن تفاحة هشة...**[2]» ؛ الإسرائيلي هو العدو اللدود لِلُبنان، فقد دخل إلى أراضيها وجعل منها أرضًا خصبة لزرع أفكاره ومعتقداته وتطويل يده لنهب أكبر قدر ممكن من الثروات لأن همه الوحيد هو خيرات البلاد وكل ما هو مادي، مُزحزحاً كذلك ثبات لبنان المعهودة عليه، طامسا هويتها وتقاليدها.

كانت إسرائيل ذات قدرة عالية على تجميل صورتها لإخضاع وإيقاع الآخرين بشباكها، بإعطائها ذلك الوجه المزيف للعالم واللبنانيين وقد تجسد ذلك في هذا المقطع: «**همه أن يسترخي في أي مكان بالعالم حتى ولو كان إسرائيل.. وقد سمع الكثير مؤخرا عن معاملتها (الطيبة) لسكان القرى اللبنانية المتاخمة لحدودها**»[3]؛ وهذا ما دفع أغلب اللبنانيين إلى الانصياع والانقياد والاستسلام لها، غير مكتشفين وجهها الحقيقي الذي قَدِمت من أجله، وحتى السجناء اللبنانيين المظلومين والمتهمين زورًا أوهمهم بمصداقية هذا الكلام، وهذا ما نجده في هذا المقطع:« **أجل لن يخاف من إسرائيل. لقد قالوا له بأن الإسرائيليين يعاملون سكان القرى الجنوبية جيدا ويشترون محاصلهم .. لقد بَلَّغه ذلك أحد السجناء وهو سيصدقه وسيعيش سلام حتى في إسرائيل**»[4] الأغبياء كيف لهم أن يصدقوا مثل هذه التراهات!، كيف لهم أن ينسوا ما عاشوه بسببها! (الكيان الصهيوني) فلن يدخل إلى أراضيك إلا من كان له طمعا في

[1] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 291.
[2] المصدر نفسه، ص 142.
[3] المصدر نفسه، ص 216.
[4] المصدر نفسه، ص ص 216-217.

ثرواتها، هل نسوا أن «**بيروت أفاقت على سبعين قتيلا وثلاث مئة مخطوف. إنه يعرف طبعا حكاية السبعين قتيلا**»[1]. ومَنْ مِنَ اللبنانيين لا يعرفها، فجميعهم يتابعون الأخبار ويستمعون للإذاعة ويعرفون كل حوار يدور في هذا الوطن الحزين. ولكن للأسف مِرارا وتكرارا، لأن إسرائيل لم تدع شيء إلا ووصلت يدها إليه وحتى الإعلام وأخباره زيفته وفبركته وهذا ما صوره المقطع: «**هل الإذاعة ببغاء من ببغاوات دكان بائع الحيوانات الأليفة؟ ما هذا الهذيان عن (المجد) والبلاد على حافة الانهيار؟ ما هذا الهذيان عن كروم الذهب، والفقراء والعاطلون عن العمل يفرشون كرومها بالدمع والغصب؟...وكانت الكارثة الحقيقية حين بدأ المذيع بتلاوة نشرة الأخبار مؤكدا أن الحالة في بيروت هادئة لم يعكرها سوى بعض (طلقات متفرقة)!** ...»[2]؛ كل تلك القنوات والإذاعات تصور ما لا واقع له داخل لبنان ولا حقيقة له من أجل تهدئة الرأي العام وإسكاته وكأنه صبي قاصر صغير «**فقد شُوهت صورة الأنا...، بتأثير الحرب، وبتأثير وسائل الإعلام التي يتحكم في أغلبها الآخر الصهيوني (بفضل المال الذي يستثمره في هذا المجال) لهذا من الطبيعي أن تكثر فيه الصورة النمطية المشوهّة للأنا العربية والمسلمة**».[3]

وهذا ما دفع باللبنانيين ترك سماع ومشاهدة المحطات الإخبارية الشرعية الكاذبة إلى الاستماع للمحطات غير الشرعية (الإسرائيلية المحرمة)، كونها تبث كل حدث على حقيقته، مفتخرة بإنجازاتها الفظيعة غير مبالية بنظرة العالم لها وهنا «**كانت الهوة مروعة بين ما يدور وراء الكواليس وما يقدمه لنا المسرح الرسمي..**[4]» ، فكانت القذائف الإسرائيلية تهطل كالمطر فوق الشعب اللبناني لدرجة أن شعبها أضحى يُفرق نوع السلاح من صوته فقط وهذا ما زاد في نفوسهم الرعب والهلع فدفع بهم إلى النزوح من منطقة إلى أخرى لعلهم ينجون من قذائفها كالزوجين "**وليد وندى**" الذين «**نزحا من قريتهما بالجنوب إلى حي الشياح ببيروت هربا من الرصاص الإسرائيلي ثم نزحا من جديد من حي الشياح إلى بيتهما بالجنوب هربا من الرصاص الانعزالي. يصلان إلى بيتهما بالجنوب وتستقبلهما قذيفة إسرائيلية**»[5]؛ جرائم وحروب لم يشهدها العالم ككل قام بها الكيان الصهيوني، كانت مخلفاته البشرية والمادية مروعة في كل بلد يَطَأ أقدامه فيه، كان يلتهم كل أخضر ويابس بأسلحته المدمرة وكذا انتهاك جميع الحقوق الإنسانية، وتماديها بالجرائم بسبب الخلفية الداعمة لها فيقول: «**المحقق الإسرائيلي بعربية مُكَسرَة، هذا واحد من الإرهابيين خذوه**

[1] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 232.
[2] المصدر نفسه، ص 98.
[3] ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر، ص 18.
[4] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 99.
[5] المصدر نفسه، ص 182.

وقتلوه فورًا دون محاكمة ودون معرفة أحد[1]»؛ أصبح المجرم يدعي البراءة والبريء يُتَهم بالإرهابية والإجرامية، فهنا يصح لنا القول بأن «**الوِدَّ الإسرائيلي هو ابتسامة على شفتي مصاص دماء، يخفي خلفها أسنانه** ...» [2]؛ فأصحاب العيون الثاقبة يعلمون علم اليقين أن ما وراءها ليس بالخير البتة، لم تأتي إلا لتأخذ وتنهب وتحصد الأرواح فهم يعلمون مكرها.

3- الفرنسي:

كانت فرنسا من الأوائل التي احتلت الأراضي اللبنانية، فرغم عدم ذكرها داخل المتن الروائي إلا مرات قلائل إلا أنها كانت ذا حضور قويّ فعال وتأثير واضح، فقد كانت هي كذلك لها يد فيما يدور داخل لبنان، تقول الروائية عن **"ماري انطوانيت"** التي استيقظت على صوت المتفجرات وهي تبحث عن صديقها اللبناني فلم تجده في الفراش «**هي أيضا لا تدري ما إذا كان لبنان ما يزال تحت حكم بلدها "فرنسا" أم لا**»[3]. فها هي تأكد الراوية على أن فرنسا كذلك تتحكم من بعيد في البلد اللبناني وبطريقة غير مباشرة، وكما سبق الذكر أن الحرب الأهلية اللبنانية فسيفساء من الطوائف وحتى من المستعمرين، بلد احتضن مختلف الآفات والتي جَنت عليه بموجات من القتل المتعددة والمتوالية، قُتل فيه البريء ونجا بنفسه صاحب السلطة والنفوذ فاستحالت أراضي لبنان إلى مغارات حربية بسبب **الآخر العدو** الذي كان كالحرباء متعددة الألوان والأشكال.

4- الحكام:

إن الحكام العرب المجرمون الكبار الأوائل، والسبب الأول غير المباشر في خراب بلدانهم وأوطانهم فجعلوها فريسة سهلة للاصطياد، بجشعهم وطمعهم وحبهم للمال والسلطة حتى ولو على حساب شعوبهم همهم الوحيد مَلء بطونهم سواء بطريقة شرعية أو غير شرعية، زادوا على بلدانهم أكثر مما هي فيه من تخلف وجهل وعدم مواكبة عصر التطور والتكنولوجيا والازدهار، فمهما تباينت شعاراتهم واختلفت إلا أنهم يخدمون العدو بطريقة غير مباشرة من خلال الثغرات التي يتركونها بسبب فسادهم، وتلك هي المأساة الحقيقية للبنانيين الذين جعلوها في الحضيض على غرار البلدان الأخرى، خربوها أكثر مما هي عليه، فتكتب الراوية بسخط عن ذلك وتقول: «**كنت أكتب بحرقة عن حكامنا الذين يحاولون مداواه السرطان بحبة اسبرو.. عن تلك الطبقة الفاسدة التي تظن الوطن حقيبة تستطيع أن تحمل فيها ثروتها**

[1] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 217.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص 292.

وتهرب ...»[1] ؛ كانوا من البداية هكذا، ولكن بعد أن جاءت الحرب الأهلية فككت تلك الروابط المزيفة وأسقطت الأقنعة وعرت واقع الحكام على حقيقته لدرجة أن ما حدث جعل الراوية تتساءل كم من صَديقاتِها هن حقا صَديقاتُها؟ فإذا كان حاكم البلد لا يؤتمن فلا أمان بعده في أحد وإذا حاولنا إعطاء تشبيه للحكام لقلنا أنهم يشبهون القتلة المندسين بين صفوف المقاتلين الشرفاء، إنهم الإرهاب بأم عينه يلبسون غطاء الثورة وحب الوطن والغيرة عليه ولكنهم يمارسون القتل والسرقة والإيذاء تحت مسماهم وجناحهم، يحسبون بيروت لعبة بين أيديهم ولكنهم غافلون عن أن لبنان أجمع لعبة شطرنج يمارسها العدو بيادقها هم، ملوك، جنود، ورجال دين والفائز خاسر، ونتأكد من ذلك في المقطع الذي يصف الأثرياء والمسؤولين: « **عن استخفاف عدد كبير من المسؤولين العرب بما يحدث لشعوبهم. المسؤولية لديهم وسيلة للثراء والسلطة لا لخدمة الناس. كل ما يعنيهم من أحداث لبنان هو ألا تؤثر على مصالحهم وأن لا تحدث (لهم)، أما الذين يموتون من لبنانيين وفلسطينيين فمجرد أرقام. أما (العروبة) بالنسبة إليهم، فهي موضوع (خطابي) جيد لابتزاز مزيد من صمت البسطاء، ولتأليف الأناشيد الحماسية والبرامج التلفزيونية**»[2]، ليس هذا فقط بل أكثر من ذلك فقد كانوا أثرياء البلاد أو بالأحرى شِرارِها، يزودون البلاد بالأسلحة المدمرة ويستمتعون بخرابها ودمارها، فيتصل أحد الأثرياء العرب بصديقة فيقول: «**مبروك يا شريك، الشحنة ممتازة، وقد شاهدت الآن في التلفزيون مدى فعاليتها. ما رأيك بشحنة أخرى من الأسلحة ذاتها؟**»[3]، هذه الأفعال الشنيعة التي قام بها الحكام والأثرياء وأصحاب النفوذ والسلطة تركت صدمات وصدمات في نفوس البسطاء الضعفاء الذين لا حيلة لهم تركتهم يُرددون هذا القول وقلوبهم تبكي دماً: «**يا إلهي، كلهم ضدنا ونحن نحالفهم ضد أنفسنا؟ ... أي رعب ... إنه الجحيم ...** »[4]. كل هذا الزَيّف الذي عاشته الشعوب العربية جعلهم ينضجون ويمسحون الضباب عن أعينهم لتنكشف أمامهم كل الأكاذيب والألاعيب ومعرفة حقيقة الوطن العربي.

ثانيا: الآخر الصديق

لم تقتصر الرواية على حملها **آخر عدو** فقط بل احتضنت في طياتها **آخر صديق**، هو: «**أنت إلا أنه بالشخص غيرك**[5]»، وبذكرنا مصطلح الصديق يعني وجوده في الرواية بالمعنى الدقيق له، للدلالة على تلك الفئة التي تنتمي لجهة لبنان وغيرها، من عاشت ما عاشوه وتجرعت من نفس كأس الألم الذي شربوه، من مستعمِرين آخرين أو من نفسهم

[1] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 46.
[2] المصدر نفسه، ص 354.
[3] المصدر نفسه، ص 354.
[4] المصدر نفسه، ص 243.
[5] أبي حيّان التوحيدي: الصدّاقة والصديق، تر: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1964م، ص 23.

(إسرائيل).كالفلسطينيين الذين يتشاركون معهم الحدود الجغرافية والدماء العربية الإسلامية، الذين هاجروا من بلادهم هربًا من قمع الكيان الصهيوني ولكنهم لقوا نفس ما وجدوه في بلادهم أو أكثر تحديدا سنة 1975، فهم لم يسلموا من الإسرائيلي حتى عندما اتخذوا موقف الحياد مع قضيتهم، وهذا ما يؤكده القول الآتي: «**إن مجرد كوني فلسطيني يجعلهم يلصقون بيّ أبشع الجرائم أو أعظم الفضائل... إنهم يؤلهونني، أو يحولونني إلى مجرم... لا أحد يهمه أن يرى وجهي الحقيقي كبشر.. كإنسان متألم وغاضب ومشرد بلا وطن**»[1]؛ دائما ما ينظر الصهاينة إلى فلسطين على أساس أنها المجرم الأول الذي استولى على بيتهم وأرضهم منذ آلاف السنين وأن مهمته هي استرجاع حقه، ومن جهة أخرى يرى العرب المسلمون القضية الفلسطينية على أنها شيء مقدس وأنها قضية العرب أجمع، فقد ذُكرت في القرآن الكريم في العديد من المواضع لتصبح بذلك أكثر قداسة... **قال تعالى**: «**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**» [2]؛ والأرض المباركة هنا هي فلسطين، ليس فقط أرضها حتى عبادها كذلك لهم نصيب من تلك البركة فداخل المتن الروائي كان الصديق الفلسطيني خير صديق، كل فلسطيني مقيم في أراضي غير أراضيه يَعِضُ وينصح الآخرين بعدم الاستسلام والبقاء داخل الوطن من أجل النضال وتحرير بلدانهم وأن لا يتركوها للعدو ينهشها مثل التفاحة، وهنا تذكرت الراوية حديثها مع صديقتها الفلسطينية "**ناديا**" بخصوص نزوحهم من بيروت ومغادرة بيوتهم بسبب ما يحدث: «**قالت نصف ساخرة:**

"نحن لن نغادر بيوتنا... فقد تعلمنا درسا في فلسطين. الآن جاء دوركم لتتعلموا هذا الدرس ..!

وثمنه دوما باهظ»[3]؛ لأنه إذا لم تحارب من أجل وطنك وحريته سترى أكثر مما أنت فيه من ظلم وجور وحقد واحتقار من دون سبب وهذا ما حدث للفلسطيني "**أبو ثائر**" عندما وجده "**الأخ شادي**" معه في الزنزانة فقال له: «**ماذا تفعل هنا؟ ولم سجنوك؟**

- **لا أذهب إلى أي بلد إلا واسجن. ذنبي الوحيد أنني فلسطيني. لقد عرفت أكثر لسجون الأجنبية، والعربية أيضا**»[4]. فالآخر الصديق (الفلسطيني) كان ضحية مثله مثل اللبناني ضحية للعدو وضحية للحكام الجشعيّن ضحية الواقع كله.

[1] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 286.
[2] سورة الإسراء، الآية: 01.
[3] غادة السمان: **كوابيس بيروت**، ص 99.
[4] المصدر نفسه، ص 285.

هكذا تجلى الآخر في عدوّ وآخر صديق، عدو ملتوي كالثعبان متعدد الأوجه، وصديق شارك معهم الحزن والأسى حاول هذا الصديق أن يساعد اللبنانيين والتخفيف عنهم بنصحهم وإرشادهم مخافةً منه عليهم وأن يحدث لهم ما حدث له وخاصة الصديق الفلسطيني.

خاتمة

وفي ختام بحثنا هذا، استخلصنا مجموعة من النتائج يمكن حصرها في النقاط التالية:

- الرواية عبارة عن حقل خصب يزرع فيه الإنسان تجاربه ومعارفه اليومية، لتنتج بذلك صورة حقيقية بحتة على ما يعيشه الإنسان أو صورة ممزوجة بخيال فني.
- الدين والمعتقدات والتقاليد هي معايير تختلف من مجتمع إلى آخر وتُفرد كلَّ مجتمع عن غيره وبالضرورة سيكون أدب هذه المجتمعات متباين، فالرواية العربية تختلف عن الرواية الغربية بالنظر إلى هذه المعايير وأيضا في شروط نشأتها التاريخية، هذا الاختلاف هو ما دفع الطرفين إلى الاندفاع نحو المحاكاة والتقليد.
- تجذّر وتأصل موضوع **"الأنا والآخر"** منذ القدم في حياة العرب (الصعاليك) وفي كتاباتهم بتسليط الضوء على إشكالية الهوية في مواجهة الآخر.
- من أهم الكُتاب الذين سخروا أقلامهم للخوض في موضوع **الأنا والآخر**: **"جورج الطرابيشي"**، **"محمد كامل الخطيب"**، **"غادة السمان"** التي كانت روايتها **"كوابيس بيروت"** محل دراستنا هذه.
- تعددت المصطلحات التي تدل على **الأنا والآخر**:

- الأنا تُعرف بالذات والنفس والشخص والفرد وحتى في ذاتها تنقسم إلى **"الأنا الأعلى"**، **"الأنا"** و**"الهو"** حسب ما جاء به **"سيجموند فرويد"**.
- يطلق على **الآخر** مفهومين شائعين هما **"الغيرية والآخرية"**.

- كان لعلم (الفلسفة، النفس والاجتماع) نصيب وافر من الدراسات حول **"الأنا"** كونها تمُس الشخصية الإنسانية وعلى الرغم من تعدد التعريفات من طرفهم إلا أنهم أجمعوا على أن مفهومها يُحدد وفق السياق الواردة فيه.
- لا يقوم لـ **الأنا** قائمة دون ركيزتين أساسيتين هما الشكل والجوهر.
- **الآخر** هو كل ما خالف **"الأنا"** وقابلها، إذا كان من نفس الجنس أما إذا اختلف الجنس أصبح غَيرية.
- **الذات** هي من ترسم ملامح **الآخر** في غالب الأحيان وذلك من خلال ما يبدر مِنه.
- تمثلت العلاقة بين **"الأنا والآخر"** الشرق والغرب: تارة عداء وتارة تنافس وتارة أخرى أخذ وعطاء بحيطة وحذر؛ فالعربي يلزمه أن يقتني كل ما يلائم بيئته وأن ينهل منهم بعينٍّ واعية ثم يعيد صياغة ما يأخذه بحسب معتقداته وما يتناسق مع نشأة جيله الصاعد، كيّ لا ينحرف عن ركائز أجداده. كما أن هذه العلاقة لم تقتصر على أنا عربي وآخر غربي أو كل من هو بعيد جغرافيا فقط، بل يمكن أن تكون في الوسط الجغرافي نفسه –عربيٍّ وعربيٍّ آخر– وحتى بين الشخص وذاته.
- استطاعت الروائية أن تصور لنا الحرب الأهلية اللبنانية من قلب الحدث، تلك الحرب التي أطلق عليها (حرب الآخرين) لدخول الكثير من المستعمرين الأراضي اللبنانية في تلك الحقبة وكان لهم يد في استغلالها وخرابها

وإشعال نيران الحرب ، كذلك لاحتوائها على حرب بين الطوائف والصراع الطّبقي بين فقير وغني ومُسْتَعْمَرٍ ومسْتَعمِرٍ.

- رغم كل تلك الصعوبات إلا أن "**الأنا**" الراوية أوصلت ما لم توصله جُلّ القنوات الإذاعية والإخبارية وتمكنت من رسم وتصوير حقيقة الواقع المعاش داخل لبنان إبّان الحرب على غرار المتداول، ليذوب بذلك كل زائف في كَنَفْ الحقيقة، وكذا تصوير ما تعانيه الأنوات من غربة داخل وطنها.
- كان حضور "**الأنا**" و"**الآخر**" واضح جلي داخل المتن الروائي من خلال تعدد الأنوات وتنوعها وكذلك من خلال ردود أفعالها، والصراع والنزاع بينهما.
- بروز "**الأنا**" في عدة ملامح وهيئات منها: الأنا الحالمة والطموحة المحبة، الرؤوفة، المصّرة، العنيفة، الخائفة، المشتاقة، المتمسكة بهويتها وغيرها.
- بروز **الآخر** كذلك بصورٍ شتى منها: الآخر (الصديق) والذي أخلص بنصحه "**للأنا**"، والآخر (العدو) الذي كان سبب في تشكل وتعدد الأنوات وظهورها في الكثير من الحالات.
- كانت لغتها السردية لغة واضحة سهلة عبّرت بها عن مجريات الأحداث وكل اللحظات التي مرّ بها "**الأنا**" و"**الآخر**"، كله نابع من صدق مشاعرها وأحاسيسها، محاولة يقاض روح المقاومة، فكانت من الروائيين الملتزمين كونها سخرت قلمها لخدمة مجتمعها ووطنها.
- أثبتت في الأخير "**الأنا**" وجودها وحضورها من خلال إصرارها وعزيمتها على أخذ حريتها عن طريق مخطوطاتها التي تمسكت بها، والتي وُسمت بـ "**كوابيس بيروت**".

الملحق

نبذة عن الروائية "غادة السمان":[1]

غادة السمان كاتبة قصص وروائية، ولدت عام 1942 في الشاميّة بسورية، تلقت علومها الابتدائية في معهد الليسيه الفرنسي، دمشق؛ وتابعت المتوسّطة والثانويّة في المدرسة الحكومية، نالت ليسانس في اللغة الانكليزية من الجامعة السورية وماجستير في الأدب الانكليزي من الجامعة الأميركية في بيروت، بدأت بعض الدروس في جامعة لندن ولكنّها لم تكملها، حصلت على الدكتوراه من جامعة القاهرة.

***حياتها في سطور:**

صحافية في الأسبوع العربي، والحوادث وغيرها من المجلات العربية، مذيعة في الكويت لفترة قصيرة. مؤسسة دار المنشورات لغادة السمان ومديرتها العامة، متزوجة.

السيرة:

أمي لا أذكر عنهاً شيئا غير زيارتنّا كل عام إلى قبرها في اللاذقية، أبي احتل طفولتي. كنت ألازمه وأسمع أحاديث الكبار دون أن أفهم بوضوح ما يدور. أول تمرد لي كان في صف الحضانة. أذكر أنني حرضت رفيقة لي على الهرب من المدرسة. لا أذكر بوضوح طفولتي الاجتماعي كنا نعيش في بيت صغير. الصورة الأساسية التي تحتل رأسي في تلك الفترة وهي صورة والدي منكبًّا يعمل باستمرار ويكتب (كان أستاذا جامعيا). كانت لديه صفات ذلك الجيل الرائع من الرجال الذين يروضون جسدهم على نوع من الصدقية والإرادة وكان يحاول نقل ذلك إلي منذ الطفولة. كان والدي فقيرا وعصاميا وكادحا. استطاع أن يتعلم ويصبح أستاذا جامعيا معيدا لكلية الحقوق بدمشق طيلة عشر سنوات، ثم رئيسا للجامعة فوزيرا للتربية.

في بيتنا الطيني بقرية «الشامية» عشت سنوات المراهقة الأولى. كان عالمي مجموعة من الصبيان الفلاحين الذين رفضوني في البداية لأنني (بنت) ثم قبلوا بضم إلى العصابة بعد أن أثبتت جدارتي في ميدان مسك السلاطعين ثم الأفاعي الصغيرة.

لا أذكر مغامراتي الأولى مع الحرف. لا أستطيع أن أتذكر يوما لم أكن أعرف فيه القراءة والكتابة، أعرف أنني تعلمت الفرنسية كأول لغة ثم العربية والقرآن ليستقيم لساني. وإني عاجزة عن الهبوط درجة إضافي إلى قعر بئر الذاكرة، إلى مرحلة ما قبل الأبجدية. القراءة كانت شيئا ساحرًا، وأعترف أنني كنت أعشق قراءة المحرمات. المرحلة الثانية إذاّ صح تقسيم بئر الذاكرة إلى درجات ومراحل وسراديب منفصلة، هي مرحلة الثانوي والجامعة.

[1] أباضة الشرقاوي: **أعلام الأدب العربي المعاصر سير وسير ذاتية**، هيئة التحرير ليزي ترامونتيني وآخرون، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، لبنان، ط1، 2013م.

ورغم القسوةّ المتقشفة في تربية والدي وحرصه على إغراقي بقراءات التراث العربي والشعر الأجنبي فقد كنت مراهقة ملتهبة وشديدة الجرأة.

كنت شرسة ومتحدية واصطدمت بوالدي في تلك الفترة، خصوصا وأنه أرغمني على دراسة (الفرع العلمي)كي أكون طبيبة ولم أكن أرغب في ذلك، وقد نلت البكالوريا العلمية من مدرسة التجهيز، ثم أعلنت العصيان وقررت دراسة الأدب الانجليزي وفعلت.

حين انتسبت إلى الجامعة كان والدي عميدا لكلية الحقوق وكان ذلك لسعد حظي، لأن زملائي كانوا يعاملونني انطلاقا من ذلك. هكذا خيّل إلي في البداية حين لاحظت أنهم باستمرار يتركونني خارج كل النشاطات الحزبيّة في الوسط الطلابي. ثم اكتشفت حقيقة أشد إيلاما وهي قصور الشبان الجامعيّين بصورة عامة في إدخال المرأة جديا إلى حرم العمل الثوري، في أوائل عام ١٩٦٤ وصلت إلى بيروت لأتابع دراسة الماجستير في الأدب الانكليزي في الجامعة الأميركية.

القيمة الوحيدة التي أنشأني عليها والدي هي العمل. فقد كنت امرأة منذ كنت طالبة جامعية.. وإلى جانب دراستي عملت كموظفة في مكتبة، وأستاذة انكليزي في مدرسة ثانوي بدمشق وعرفت الاستقلال الاقتصادي منذ سن المراهقة، عندما جئت إلى بيروت

عملت في البداية أستاذة في مدرسة المرحوم (شارلي سعد) في الشويفات. ثم وجدت عملا في الصحافة مجلة الأسبوع العربي [مقابلة] ومن يومها وأنا أعمل أيا كانت ظروفي.

أول قصة رغبت في نشرها وفعلت كان اسمها من وحي الرياضيّات نشرتها في مجلة المدرسة الثانويّة. لماذا؟ ربّما لأثبت لأساتذتي في اللغة العربية يومئذ (السيّدة ن. ر) أنّ ظنونها حول «موهبتي» في محلها. كانت لتلك الأستاذة أثرا كبيرا في تعزيز موقفي الداخلي من الأدب، وكانت تعرف أنني شبه مرغمة على دراسة البكالوريا العلميّة، وأن في الكتابة تكمن فعاليّتي الحقيقية، أفكر بها الآن بحنان وأفتقدها[1] .

في العاشرة من عمري دخلت الصحو المثلج الكاوي كالنار، بعد اصطدامي الأول بالسلطة: كنت عائدة من المدرسة بعد يوم طويل أوقفونا فيه منذ الصباح أمام أبواب إحدى المؤسسات وفي الشارع لأن حاكم بلدنا قادم للزيارة. وبعد انتظار طويل مرّ (الإمبراطور) ولم يلتفت إلينا ولم يبتسم ولمّ يسلم. لقد شعرت يومهاّ بالذل وبالقهر. لماذا استعملوني كتمثال، ولماذاّ تم استخدامنا كديكورات حية؟ كانت تلك أول مرة أحقد فيها على السلطة. تلك الشهيّة الطفولية إلى العدالة والديمقراطية لم تفارقني يوما، وظلت تلازمها نظرة إلى الحاكم التي كانت تتحوّل إلى كراهيةّ متأججة في ظل المراحل التاريخيّة القمعيّة. وقد دعيت فيما بعد الطوفانات المتعاقبة التي نحياها في سورية. تلك الصورة المضطربة لم تكن راضية عن العالم الذي فتحت عيني عليه منذ طفولتي.

[1] أباضة الشرقاوي: أعلام الأدب العربي المعاصر سير وسير ذاتية.

وكنت أتمنى أن يتبدل بصورة ما. كل ما حولي كان يبدو مزورا ومفروضا علي وكنت عاجزة عن الانسجام مع (واقع الحال).

صيف ١٩٦٦ توفي والدي. حكمت بالسجن ٣ أشهر غيابيًّا لأنني من حملة الشهادات العالية بسورية وغادرتها دون إذن. ثم إبلاغي النبأ وكنت في لندن. ثم طردي من عملي الذي كنت أعتاش منه بمراسلة إحدىّ المجلات اللبنانيّة. وقعت بيني وبين ما تبقى من أسرتي قطيعة عائليّة سببها رغبتي بالاستقلال التام والحرية وكان معنى ذلك انقطاع أي مصدر تمويلي عني. عشت سنوات 1966، 67، 68، 69 متنقلة بين لبنان ومختلف البلدان الأوروبيّة أعمل وأعيش كأي شابة وحيدة. هذه السنوات هي التي كونتني وهي التي صنعت غادة الحالية كل ما تعلمته حقا تعلمته في سنوات الصراع تلك.. فهمت خلالها معنى أن يكون الإنسان طريدا ووحيدا ومهددا بالسجن وبلا أي سند في العالم.

خلال تلك السنوات واجهت الناس غريبة في بلدان حماية «الأسرة، المركز الاجتماعي، النقود».كان أمس ما اكتشفته تفاهة مفاهيم المجتمع الدمشقي البورجوازي الذي كان يعتريني في تلك السنوات امرأة هالكة، وكنت في الحقيقة امرأة بدأت تحيا.

جئت إلى بيروتّ لأنهاّ تمثل لي واحة الحريّة العربيّة. قد تكون لدينا مآخذ لا تحصى على هذا البلد، ولكن بالمنظار النسبي وضع الحرية في لبنان أفضل من وضعها حولنا. لبنان جزيرة الحرية.

قضية «الثورة» ككل، والثورة الجنسيّة كجزء منها، صارت في نفسي نتيجة تفاعل الحياة والثقافة معًا... الثورة تنبت في داخل القلب، وليس سرا أنني بت أؤمن بأن الثورة الجنسيّة (أي مفاهيمنا التقليديّة عنّ العفة والأخلاق) هي جزء لا يتجزأ من ثورة الفرد العربي لانتزاع بقية حرّياته منّ فك الاستلاب: حرياته الاقتصادية، والسياسيّة وحريّة الكلام والكتابة والتفكير.[1]

أتمنّى للمرأة وجودا مختلفا في المجتمع، يجعلها فاعلة ومسؤولة، أتمنّى حضورا علنيا واضحا أرى نقطة الانطلاق: أن تعمل المرأةً حقا وأن يكون العمل مفتاح وجودنا كما هو بالنسبة للرجل. أشعر باستمرار بالرغبة في تغيير وجود المرأة (الوجودي) ورفع حضورها إلى مستويات أعلى من الوعيِ الإنساني. أنا لا أرى الجنس البشري مقسما إلى ذكور وإناث، وإنما إلى (الذين يعملون) والذين (لا يعملون).

*مؤلّفاتها:

ملاحظة: صدرتّ كل الكتب التالية عن منشورات غادة السمان إلا إذا نص على غير ذلك.

أ) قصص:

١- رحيل المرافئ القديمة، دار الآداب، ١٩٦٠.

[1] أباضة الشرقاوي: أعلام الأدب العربي المعاصر سير وسير ذاتية.

٢- عيناك قدري، ١٩٦٢.

٣- لا بحر في بيروت، ١٩٦٣.

٤- ليل الغرباء، دار الآداب، ١٩٦٦.

٥- زمن الحب الآخر، ١٩٧٨.

٦- الجسد حقيبة سفر، ١٩٧٩.

German translation: Mit dem Taxi nach Beirut, by Sulemen Tawfiq, Berlin Edition Orient, 1990.

ب) روايات[1]:

١- بيروت ٧٥، دار الآداب، ١٩٧٥.

English translation: Beirut 75, by Nancy Roberts, Fayetteville, University of Arkansas Press, 1995. Spanish translation: Beirut 75, by Miguel Puerta Vilchez, Madrid ،1999.

٢- كوابيس بيروت، بيروت، دار الآداب، ١٩٧٦.

German translation: Alptraum in Beirut, by Veronika Theis, Göttingen, Lamuv, 1998.

٣- الحب من الوريد إلى الوريد، ١٩٨٠.

٤- غربة تحت الصفر. ١٩٨٦.

٥- ليلة المليار. ١٩٨٦.

٦ -تسكع داخل جرح بيروت،، ١٩٨٨.

ج) مقالات وكتابات أخرى:

١- حب، دار الآداب، ١٩٧٣.

٢- أعلنت عليك الحب، بيروت، دار الآداب، ١٩٧٦. شعر.

٣- اعتقال لحظة هاربة، ١٩٧٨.

[1] أباضة الشرقاوي: **أعلام الأدب العربي المعاصر سير وسير ذاتية.**

٤- ختم الذاكرة بالشمع الأحمر، ١٩٧٩.

٥- مواطنة متلبسة بالقراءة، ١٩٧٩.

٦- السباحة في بحيرة الشيطان، ١٩٧٩.[1]

[1] أباضة الشرقاوي: **أعلام الأدب العربي المعاصر سير وسير ذاتية.**

لمحة عن الرواية:

"غادة السمان" روائية مبدعة لطالما تفننت بقلمها وتفردت بكتاباتها، فبعد صدور العديد من الروايات المنسوجة من طرفها كتبت لنا رواية على شكل مذكرات خاصة، جسدت فيها الحرب الأهلية التي أصابت لبنان وتحديدا بيروت سنة 1975م ووسمتها بـ "كوابيس بيروت".بدأت كتابتها ليلة13 تشرين الثاني 1975، وانتهت من كتابتها في 27 شباط 1976، نُشرت في إحدى المجلات اللبنانية مع أوائل عام1976. ثم توقفت المجلة عن نشرها في أب 1976 اعتبارا من كابوس 160، ترجمت إلى البولونية وصدرت عام 1984 وإلى الروسية وصدرت عام 1987، وترجمت للألمانية أيضا.

ضمّت في صفحاتها 197 كابوس. تحدثت في هذه الكوابيس عن ما حدث معها مع أخوها شادي بعد أن تقطعت بهم سبل الخروج من منزلهم الموجود في الطابق الثالث من بناية كانت متمركزة على قصة تلة، يقطنها فئة من أثرياء بيروت محاصرة بين رصاص العدو ورصاص الفريق المناضل. فبعد أن حوصرت بدأت في سرد معاناتها مع سجنها ومعاناة أخوها الذي سجن بعد أيام فقط من الحصار بسبب حمله لسلاح زينة أثري، ومعاناة أهل الحي وأهل بيروت بسبب القصف المتوالي عليهم والذي لا يتوقف إلا في حالات نادرة وبسبب نقص إمكانيات العيش في منازلهم من شح في المواد الغذائية وقلة الماء واحتمالية انقطاع الكهرباء في أي لحظة. كتبتها بقالب درامي دموي يتسم بالحزن والحنين إلى الماضي .. ماضي كانت فيه بيروت في حالة أمن، وحنين إلى حبيبها "يوسف" الذي من بشاعة الحرب قتل أمام عينها، ممزوج مع خيال فني جسدته في الحديث عن الموت الذي اتخذ هيئة إنسان يتكلم. لتقرر بعد ذلك أن تنجو بنفسها وتطالب بالحرية، بداية من تحرير الحيوانات القابعة في ظلام متجر بائع الحيوانات الأليفة والتي ما مثلتها إلى لشعبها المسكين. كما تحدثت تارة بتلميحات وتارة بصريح العبارة عن الطبقية الواضحة بين الغني والفقير وكيف كان لهّيب هذه القضية شرارة إضافية لاشتعال الحرب وانفجارها. خاتمة روايتها بحرية الحيوانات وتحررها من قيودها للدلالة على تحرر لبنان.

قائمة المصادر والمراجع

– القرآن الكريم برواية ورش.

أولا: المصادر

1. غادة السمان: **كوابيس بيروت**، منشورات غادة السمان، بيروت، لبنان ط1، 1976م.

ثانيا: المراجع

أ– الكتب العربية:

2. أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي الدمشقي: **تفسير القرآن الكريم**، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ-2000م.

3. أحمد أحمد بدوي: **رفاعة الطهطاوي بك**، لجنة البيان العربي، القاهرة، د.ط، 1369هـ-1950م.

4. أحمد عبد الحليم عطى: **جدل الأنا والآخر (قراءة نقدية في فكر حسن حنفي في ميلاد الستين)**، مكتبة مدبولي الصغير، ط1، 1997م.

5. أحمد محمد عطية: **الرواية السياسية دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية**، مكتبة مدلولي، القاهرة، د.ت.

6. تركي الحمد: **الثقافة العربية في عصر العولمة**، دار الساقي، مصر، ط1، 1999م.

7. تركي حمد: **الثقافة العربية في عصر العولمة**، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

8. جميل صليبا: **علم النفس**، دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ط2، 1404هـ-1984م.

9. جورج الطرابيشي: **شرق غرب رجولة وأنوثة**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

10. سالم المعوش: **صورة الغرب في الرواية العربية**، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

11. سعد البازعي: **مقاربة الآخر**، مقارنات أدبية، دار الشروق، مصر، ط1، 1420هـ-1999م.

12. سعيد عمر: **الأنا والآخر من المنظور القرآني**، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1429هـ-2008م.

13. الطاهر لبيب: **صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

14. عاطف جودة نصر: **الخيال (مفهوماته ووظائفه)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1984.

15. عبد الكريم جندي: **مفهوم الواقع في العلوم الإنسانية، نماء للبحوث والدراسات**، القاهرة، لبنان، ط1، 1443هـ، 2021.

16. عبد الله: **مفهوم الإيديولوجيا**، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2012م.

17. عدنان فحص: **الحرب اللبنانية (أسباب ونتائج)**، دار الحسام، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.

18.عمرو عبد العلي علام: **الأنا والآخر الشخصية العربية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر**، دار العلوم للنشر والتوزيع والمعلومات، ط1، 2005.

19.عهد كمال شلحين: **الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع**، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، د.ط، 2015م.

20.القاضي عليّ بن المحسن التنّوخي: **القصيدة اليتيمة**، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان.

21.ليلى لميحة فياض: **موسوعة أعلام الموسيقى العرب والأجانب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ-1992م.

22.ماجدة حمود: **إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)**، عالم المعرفة، الكويت، 1434هـ-2003م.

23.ماهر مسعود: **الحرية**، بيت المواطن، دمشق، الجمهورية العربية السورية، ط1، 2015.

24.مجموعة مؤلفين، هيغل: **المقاربات النقدية لنظامه الفلسفي، العتبة العباسية المقدسية، النحن**، مجلة العراف، 2020م.

25.محمد العابد الجابري: **مسألة الهوية العروبة والإسلام ... والغرب**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

26.محمد الهلالي، عزيز لزرق: **العنف دفاتر فلسفية نصوص مختارة** ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2009.

27.محمد الهلالي، عزيز لزرق: **الغير دفاتر فلسفية نصوص مختارة**، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2010م.

28.محمود رجب: **فلسفة المرأة**، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1994م.

29.مهدي فضل الله: **فلسفة ديكارت ومنهجه (دراسات تحليلية ونقدية)**، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1983م.

30.ميجان الرويلي، سعد البازعي: **دليل الناقد الأدبي**، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002م.

ب- الكتب المترجمة:

31.أبي حيّان التوحيدي: الصدّاقة والصديق، تر: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1964م.

32.أندريه لالاند: **موسوعة لالاند الفلسفية**، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 2001م.

33. إيغوكون: **البحث عن الذات دراسة في الشخصية ووعيّ الذات**، تر: غسان نصر، دار معد للنشر، سوريا، دمشق، 1992م.

34. إيمانويل ليفيناس، **الزمن والآخر**، تر: منذر عياشي، دار نينوي، دمشق، سوريا، ط1، 1436هـ-2015م.

35. **بول ريكور: الذات عينها كآخر**، تر: جورج زيناتي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

36. توم سوريل: **ديركات مقدمة قصيرة جدا**، تر: أحمد محمد الرودي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2014م.

37. جان بول سارتر: **الكينونة والعدم**، تر: نقولا متيني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.

38. سيجموند فرويد: **الأنا والهو**، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1402هـ-1982م.

39. مايكل تانز: **نيتشه مقدمة قصيرة جدا**، تر: مروة عبد السلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2015م.

ثالثا: المعاجم اللغوية والفلسفية

40. ابن منظور: **لسان العرب**، تح: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، 1119م.

41. أحمد مختار عمر: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1429هـ-2008م.

42. جلال الدين سعيد: **معجم المصطلحات والشواهد**، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004م.

43. جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ط، 1982م.

44. لويس معلوف: **المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية**، بيروت، لبنان، ط19، 1908م.

45. محمد التونجي: **المعجم المفصل في الأدب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ-1999م.

46. محمد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 1429هـ-2008م.

47. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: **مختار الصحاح**، دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، لبنان، د.ط، 1986م.

48. مراد وهبة: **المعجم الفلسفي**، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، د.ط، 2007م.

49. معجم اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، مكتبة الشرق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ-2004م.

رابعا: مجلات

50. تر: سليمان السلطان، مجلة الحكمة، **موسوعة ستانفورد الفلسفية**، 2022م.

51.جديدي زليخة: **الاغتراب**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وادي سوف، الجزائر، 2012م، العدد:8.

52.جيونيئيتشي هيرانو:**تجديد الفكر الإسلامي في العالم الإسلامي الحديث**، مجلة الدراسات العالم الإسلامي، مارس 2011م.

53.رسل فوعمان: **ويليام جيمس**، مجلات الحكمة، موسوعة ستانفورد للفلسفة، بتاريخ 17 نوفمبر 2019.

54.عبد الرحمن أحمد إسماعيل كرم الدين: **الثنائيات الضدية في نقائض الجرير والفرزدق والأخطل وأثرها في أداء المعنى الشعري**، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القسيم، مج: 5، ع: 1.

55.عبد الرحيم البار: **عبد القاهر الجرجاني: حياته ومؤلفاته ومنهجه اللغوي**، مجلة الإشكالات، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، مج: 6، ع: 03، 2017م.

56.عبد الله بن محمود طاهر تريسي: **ثنائية (الأنا) و(الآخر) الصعاليك والمجتمع الجاهلي**، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ع: 120-221، 1421هـ-2011م.

57.عز الدين مختار فكرون، علي مفتاح الجر: **واقع الهجرة غير الشرعية**، مجلة دراسات الاقتصاد والأعمال، مجلد 6، عدد 1، 2017.

58.عزيز العرباوي، **مفهوم الحرية في الإسلام وفي الفكر الغربي**: رؤية بانورامية، مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 26 مايو 2016.

59.غاري كوتينق، تر: فريق حكمة، مجلة الحكمة، **موسوعة ستانفورد**، الفلسفة، 2020.

60.هدى عبد الله قنديل: **مفهوم العدو في الفكر الديني**، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، ع: 67، أكتوبر 2006م.

خامسا: الرسائل الجامعية

أ- الدكتوراه:

61.عامر جميل الصرايرة: **جدلية بين الشرق والغرب في نماذج مختارة من الرواية العربية المعاصرة (2001-2011)**، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، 2013م.

ب- الماجستير:

62.بوحلايس سولاف: **صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009م.

63.العلمي مسعود: **الفضاء المتخيل والتاريخ في رواية كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج نموذجا دراسة بنيوية سيميائية**، أطروحة مقدمة لنيل متطلبات شهادة الماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2009-2010م.

سادسا: المواقع الإلكترونية

64.ويكيبيديا: **موسوعة حرة**.

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

إهداءات

العنـــــــاوين	الصفحة
مقدمة	أ-ج
مدخل: إشكالية الأنا والآخر في الرواية العربية	5
الفصل الأول: ثنائية الأنا والآخر؛ مفاهيم تأسيسية	11
المبحث الأول: مفهوم الأنا	12
أولا: لغة	12
ثانيا: اصطلاحا	13
أ- من المنظور الفلسفي	14
ب- من منظور علم النفس	16
ج- من منظور علم الاجتماع	17
المبحث الثاني: مفهوم الآخر	18
أولا: لغة	19
ثانيا: اصطلاحا	20
المبحث الثالث: العلاقة بين الأنا والآخر	22
الفصل الثاني: الأنا والآخر في رواية كوابيس بيروت لـ "غادة السمان"	26
المبحث الأول: تجليات الأنا في رواية كوابيس بيروت	27
أولا: الأنا بين الكابوس والواقع	27
ثانيا: الأنا بين غُربةِ الوطن والهجرة	31
ثالثا: تناقض الأنا بين (اللاعنف) و(العنف)	35
رابعا: هوية الأنا بين (اللاانتماء) و(الانتماء)	38
خامسا: الأنا بين الأسر والحرية	41

المبحث الثاني: تجليات الآخر في رواية كوابيس بيروت	45
أولا: الآخر العدو	45
1. القناص	46
2. الإسرائيلي (اليهودي)	47
3. الفرنسي	49
4. الحكام	49
ثانيا: الآخر الصديق	50
خاتمة	53
ملحق	56
قائمة المصادر والمراجع	63
فهرس الموضوعات	69

ملخص

ملخص:

حاولت دراستنا تسليط الضوء على كيفية تجلي وتمظهر الأنا والآخر في رواية كوابيس بيروت، والتي تعتبر من بين أهم الكتابات التي خُطت بقلم غادة السمان والتي نقلت بها معاناة الشعب اللبناني وخصوصا شعب بيروت أثناء الحرب الأهلية بصورة واقعية، فكان لابد لهذه الثنائية أن تظهر في سطور الرواية، بسبب الصراع والصدام الذي كان بين الأنا (شعب بيروت) والآخر (العدو)، وهذه إحدى النقاط التي عرجنا عليها في بحثنا تحت عنوان علاقة الأنا والآخر. كما ذكرنا تعريفات واصطلاحات عديدة وضعت من أجل إرساء مفهوم واضح للثنائية، أما تجليات الأنا والآخر في كوابيس بيروت فقط اتسمت بالاختلاف والتباين وخاصة الأنا.

الكلمات المفتاحية: الأنا – الآخر – الغيرية – النحن – العلاقة بين الأنا والآخر – الشرق – الغرب.

Abstract :

Our study tried to shed light on how the ego and the other are embodied in the novel Beirut Nightmares, which is considered one of the most important writings written by Ghada Al-Samman, in which she realistically conveyed the suffering of the Lebanese people, especially the people of Beirut during the civil war, so this duality had to appear in the lines of the novel. Because of the conflict and clash that was between the ego (the people of Beirut) and the other (the enemy), and this is one of the points that we studied in our research under the title of the relationship of the ego to the other. . We have also mentioned several definitions in order to establish a clear concept of duality. As for the manifestations of the ego and the other in the nightmares of Beirut, they were characterized by difference and contrast, especially the ego.

Key words : ego – the other – heterosescwal – we - the relationship between the ego and the other – the east - the west.

تم بحمد الله